الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة السانيا – وهران-
كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم النفس وعلوم التربية
تخصص : الطب النفسي الثقافي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في علم النفس العيادي الموسومة بـ :

البعد العلاجي للممارسات الرمزية التقليدية بمنطقة أدرار
(دراسة إثنوسيكولوجية لطقس لعبيد)

من إعداد الطالبة :
شحان فاطمة الزهراء

إشراف :
أ.د أحمد بن شهيدة
مساعد المشرف :
أ.د كبداني خديجة

لجنة المناقشة :

- أ. بهادي منير	-جامعة وهران-	رئيسا
- أ.د. كبداني خديجة	-جامعة وهران-	مناقشا
- أ.د. قلي عبد الله	-جامعة الجزائر-	مناقشا
- أ.مكي محمد	- جامعة وهران-	مناقشا

السنة الجامعية 2007/2006

كلمة شكر

لله الحمد كله وله الشكر كله وإليه يرجع الأمر كله علانيته وسره، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى.

أشكرك يا الله على كل نعمة أنعمت بها علي.

أشكر كل من كانت له بصمة في هذا العمل المتواضع من خلال التوجيهات، النصائح، الانتقادات البناءة، الدعاء، التحفيزات، التشجيعات وخاصة الأستاذة الدكتورة كيداني خذيجة صاحبة الفضل الكبير.

ندعو الله عز وجل أن يوفقكِ إلى ما يحبه ويرضاه، إنه هو السميع العليم

وأتقدم بالشكر إلى الأستاذ المشرف أ.د.أحمد بن شهيدة وكذا لجنة المناقشة والأساتذة الذين أمدوني بيد العون.

إهــداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا إلى روح الجدة الغالية "ام عقيدة" التي أخال أن دعوتها رافقتني ولازالت ترافقني في كل خُطاي فأسأل المولى أن يتغمدها برحمته

وإلى الوالدين الكريمين اللذان كانا سندا وعونا في مشواري الدراسي ومنحاني حبهما ودعوتهما وثقتهما أطال الله في عمرهما

إلى شموع العائلة كل باسمه الخاص، وجداي الكريمين أطال الله في عمرهما

إلى العم وكل الأهل والأقارب

إلى كل اللذين أكن لهم أواصر الود والمحبة والامتنان

إلى كل اللذين عرفتني بهم الحياة الدراسية والعملية من إخوة و أصدقاء وزملاء

إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل ولو بكلمة طيبة

إلى كل طالب علم

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة عملي هذا

فاطمة الزهراء

ملخص البحث :

الدراسة الحالية الموسومة بـ: البعد العلاجي للممارسات الرمزية التقليدية بمنطقة أدرار (دراسة إثنوسيكولوجية لطقس لعبيد) بهدف معرفة أبعاد الممارسة العلاجية والآثار النفسية المترتبة عنها بحيث تمحورت حول إشكالية عامة مفادها: هل الممارسة الطقسية العلاجية (لعبيد) تؤدي وظيفة علاجية فاعلة على مستوى المشكلات الصحية بالمجتمع التواتي؟ أدى بنا هذا إلى افتراضات عامة واساسية مضمونها : للممارسة الطقسية العلاجية لعبيد تأثير فاعل كوظيفة علاجية. أما الأساسية فتمثلت فيما يلي :

1- للسيرورة الاعتقادية في ممارسة طقس لعبيد كطريقة علاجية دور فاعل ومثمر.

2- فاعلية لعبيد كطقس رمزي للتعبير عن الصراعات.

3- فاعلية لعبيد كطقس رمزي للتخفيف عن الصراعات.

ولتحقيق الأهداف المتواخاة من البحث جمعنا بين جزئين أساسيين جزء نظري وآخر تطبيقي حيث استعرضنا في الجزء النظري ثلاثة فصول:

الفصل الأول تحت عنوان مدخل للدراسة والذي تعرضنا فيه إلى أهم الكلمات المفتاحية لموضوع بحثنا وهي مصطلحات تضمنتها دراستنا بشكل أساسي: الطقس، الأسطورة، الرمز، المعتقد، المقدس، الجماعة، الفلكلور.

الفصل الثاني بعنوان الطقوس والذي تضمن أهداف ووظائف الطقوس وأهم التدخلات بين الطقس ومصطلحات البحث.

الفصل الثالث: موسوم بـ: الطقوس العلاجية التقليدية والذي تضمن أهم الطقوس العلاجية الجماعية التقليدية والطقس موضوع الدراسة على وجه الخصوص وتفسيرات الطقوس العلاجية.

أما الجزء الميداني الذي يعتبر دعمًا وتوضيحاً للجزء النظري استهدف التعرف على الطقس وأهم ما يتعلق به بحيث اشتمل على فصل الإجراءات المنهجية الذي ضم بداية الدراسة الاستطلاعية والتي كانت على عينة قوامها **150** فردا (ذكور، إناث) من مختلف الربوع التواتية من خلال استمارة لرصد تصوراتهم عن الطقس موضوع البحث ثم الدراسة الأساسية لنتدرج في نهايته إلى الحالات المدروسة الأربعة التي تم اختيارها.

بعد هذا الفصل يأتي فصل تقديم الحالات العيادية من خلال التقارير السيكولوجية لكل حالة عيادية باستخدام وسائل بحثية لنلجأ في آخر فصل وهو عرض النتائج وتحليلها إلى عرض النتائج المحصل عليها من الحالات الأربعة ومناقشتها بحيث تحققت الفرضية العامة الرامية إلى أن للممارسة الطقسية العلاجية (لعبيد) تأثير فاعل كوظيفة علاجية وذلك انطلاقا من مناقشات وتفسيرات للفرضيات الأساسية المقترحة للبحث وتحققها على مستوى الحالات الأربعة على وجه العموم، لنختتم دراستنا في أخر المطاف بخاتمة ضمت تصور عام حول العلاجات التقليدية بعيدا عن القيمية لأنها تبقى حقيقة واقعية كما يشير إلى ذلك ليفي ستراوس.

محتويـات البحـث

الصفحة

كلمة الشكر .....

الإهداء .....

قائمة الجداول .....

مقدمة ..... أ-ب

الجزء النظـري
الفصل الأول: مدخل إلى الدراسة

طرح الإشكال 1

أهمية الموضوع و أهدافه 2

أسباب اختيار الموضوع 2

تحديد مصطلحات البحث 5

- الطقس (Rite) 5

- الأسطورة (Mythe) 7

- الرمز(Symbole) 10

- الاعتقاد – الإيمان- النية (Croyance) 13

- المقدس (Le sacré) 14

- الجماعة (Le groupe) 16

- الفلكلور(Folklore) 17

الفصل الثاني : الطقوس

تمهيد 17

1.أهداف الطقوس 18

أ- الهدف الحيوي الاستمراري..... 18

ب- الهدف الديني 18

2. وظائف الطقوس 19

أ- وظيفة دينية 19

ب- وظيفة رمزية 20
3. الطقوس – الأسطورة – المعتقد 21
أ- الأسطورة والمعتقد 21
ب- الطقس والأسطورة 23
ج- الطقس المعتقد 24
د- الأسطورة - الطقس - المعتقد 25
4. أنواع الطقوس 30
أ- الطقوس السحرية 30
ب- الطقوس الدينية الروتينية 30
ج- الطقوس الدورية الكبرى 30
5. الرمز- المقدس 31
6. الطقس - الجماعة 31

الفصل الثالث : الطقوس العلاجية

تمهيد 32
1. تعريف الجماعة العلاجية..... 33
2. الممارسات العلاجية الجماعية الفلكلورية 33
3. الوظائف العلاجية للممارسات الطقسية الفلكلورية 34
4. أهم الطقوس العلاجية الجماعية 37
5. أهم الممارسات العلاجية الجماعية بمنطقة توات..... 46
6. تفسير الطقوس العلاجية 52

الجزء التطبيقـي

الفصل الرابع : الإجراءات المنـهجية

تمهيد 54
I- الدراسة الإستطلاعية 55
I-1-الهدف من الدراسة 55

I-2-مجال الدراسة الإستطلاعية..... 55
I-3-الوسائل المستعملة في الدراسة الإستطلاعية..... 62
I-4-نتائج الدراسة الإستطلاعية 65
I-5-تفسر نتائج الدراسة الاستطلاعية..... 78
II- الدراسة الأساسيـة 83
II-1-الوسائل المعتمدة في الدراسة 83
II-2-الحالات المدروسة 90

الفصل الخامس: تقديم الحالات

التقرير السيكولوجي للحالة الأولى 91
التقرير السيكولوجي للحالة الثانية 97
التقرير السيكولوجي للحالة الثالثة 103
التقرير السيكولوجي للحالة الرابعة 109

الفصل السادس : عرض النتائج وتحليلها

مناقشة الفرضيات..... 118
الخاتمة 126
قائمة المراجع 129
الملاحق
ملخص البحث

رغم التطور والتقدم في المجتمع الجزائري، إلا أن بنيته لازالت تحافظ على خصائصها الاجتماعية، وبتعبير أوسع تراثها الثقافي، وهذا ما يمكن ملاحظته جليا في الممارسات العلاجية التقليدية، هاته الممارسات التي تمثل عند البعض حلا لمشكلاتهم المستترة والمبهمة وأحيانا أخرى الوقاية والتحصين في المستقبل المجهول، وعند البعض الآخر منافذ أو محطات للتنفيس والترويح النفسي وحتى التطهير أحيانا، إذ تتمثل هذه الممارسات في مجموعة من الطقوس، قد تتجسد في شكل فردي أو جماعي.

فالفردي يمارسه شخص ذو مواصفات معينة ومؤهلات مميزة، وأما الجماعي فيتمثل في رقصات طقسية فلكلورية خاصة يقوم بها أناس معينين ينشدون أهازيج معينة.

وما يلاحظ أن لهذه الممارسات تأثير فاعل على النفس البشرية إذ أثارت فضول العديد من الباحثين كونها لازالت تلقى إقبال جمهور (جماهير) الوافدين للتداوي والتبرك أحيانا والتطبيب والتنفيس أحيانا أخرى، سواء كان هذا على المستوى النفسي أو العقلي أو الجسدي، وهذا بالرغم مما توصل إليه مجتمعنا المعاصر من تحسين في أوضاعه الاجتماعية، وما أحرزته اليوم العلوم الطبية الحديثة من انتصارات مذهلة واكتشافات رائعة لتحقيق الصحة النفسية والجسدية للفرد، ناهيك عن صخب دعاة التطورية والعصرنة والانفتاح على المستقبل بجعل قطيعة ابستمولوجية مع ما أسموه برواسب الماضي.

هذه الممارسات التي أثارت حفيظتهم وراوا فيها علامات التراجع والتأخر واللاتكيف مع الحياة العصرية.

ولكن هذا ما ينادون به؟ ! فهل هو مجسد في أرض الواقع حقا؟ وخاصة أن الشواهد الواقعية تؤكد أن العلاجات التقليدية في ساحة المواجهة مع الطب الحديث.

ومن الواقع المعاش انطلقت سعيا لتناول هذه الدراسة الممارسات العلاجية الرمزية ودلالتها السيكولوجية بمنطقة أدرار حيث خصصت الدراسة لطقس من الطقوس الفلكلورية العلاجية الرمزية التي يلجأ إليها البعض للتداوي والتبرك والترويح النفسي بعد أن طرقوا أبواب القطاعات الصحية الحديثة ألا وهو طقس "لعبيد" من بعده العلاجي أو ما يعرف بـ "داني" في منطقة تيديكلت من الربوع التواتية.

حيث جمعت دراستنا بين جزء نظري وآخر تطبيقي لاكتمال الصورة علمياً وعملياَ في دراسة الطقس العلاجي والإلمام بجل جوانبه.

الجزء النظري والذي تضمن الفصول التالية :

1- مدخل إلى الدراسة

2- الطقوس

3- الطقوس العلاجية التقليدية

الجزء التطبيقي وتضمن الفصول الموالية:

1- الإجراءات المنهجية

2- تقديم الحالات العيادية

3- عرض النتائج وتحليلها.

طرح الإشكال :

إن لدراسة العادات الشعبية أهمية بالغة وهذا ما تشير إليه الأنتروبولوجية روث بندكت Ruth Bendiet حيث تؤكد على أن الناس لم يكونوا حتى العصر الحاضر يعتبرونه موضوعا ذا شأن عظيم فليس هناك من شك لدى الإنسان العادي في أن النشاط الداخلي الذي يعتمد في نفوسنا شيء جدير بالبحث، أما العادة فتبدو لنا أنها تمثل سلوك الإنسان في أمور عادية قليلة الأهمية، ولكن الواقع خلاف ذلك، بل هو عكس ما يتصور فالعادات في العالم أجمع تمثل كتلة من السلوك البشري أدعى إلى اثارت العجب من أي سلوك يصدر عن الفرد مهما كان ذلك السلوك خارجا عن المألوف[1].

والممارسات العلاجية الشعبية التقليدية إحدى هاته العادات المعقدة التي تحوي الكثير من التفاصيل والعناصر المتداخلة وما طقس البيع الرمزي للعبيد في صبغته العلاجية إلا سلوك بشري مثير للغرابة والعجب إرتاه البعض كمحطة لطلب الشفاء بتصورا أو بأخر ومن هنا سنحاول طرح إشكالية عامة فيما يخص الطقس موضوع الدراسة مفادها :

هل الممارسة الطقسية العلاجية (لعبيد) تؤدي وظيفة علاجية فاعلة على مستوى المشكلات الصحية بالمجتمع التواتي؟

وانطلاقا من هذا الإشكال سنحاول وضع فروض نجملها كالآتي :

الفرضية العامة:

للممارسة الطقسية العلاجية لعبيد تأثير فاعل كوظيفة علاجية

الفرضيات الأساسية :

1- للسيرورة الاعتقادية في ممارسة طقس لعبيد كطريقة علاجية دور فاعل ومثمر.

2- فاعلية لعبيد كطقس رمزي للتعبير عن الصراعات.

3- فاعلية لعبيد كطقس رمزي للتخفيف من الصراعات.

1- محمد الجوهري، دراسات في علم الفلكلور، المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1992، ص218.

أهمية الموضوع :

- كونه دراسة تستحق الخوض في غماراتها وتشعباتها.
- قلة الدراسات حول هذه الدراسة بشكل عام وخاصة في منطقة الجنوب الجزائري.
- محاولة تسليط الضوء لفهم خصوصية المجتمع التواتي من خلال هذه الظاهرة (طقس لعبيد العلاجي) والتي لها بعد سيكولوجي.
- اعتبار الدراسة بمثابة محاولة واعية نحاول من خلالها على الأقل تشجيع البحوث الاثنوسيكولوجية لفهم المجتمع الصحراوي الجزائري وخصوصيته.
- كونه محاولة لتأسيس بعد ثقافي علمي يساهم في إثراء الدراسات الاثنوسيكولوجية للمجتمع المحلي.
- كشف الغطاء عن بعض الممارسات العلاجية التقليدية الغامضة و التي لها علاقة بالشعائر الدينية و خاصة في المنطقة الجنوبية من القطر الوطني.

أسباب اختيار الموضوع :

أ- أسباب ذاتية

- رغبتي في توسيع معارفي حول هذا الموضوع لارتباطه بانشغالي منذ آن وطأت قدماي معهد علم النفس محاولة لفهم ارتباط علم النفس بالعادات والتقاليد والاعتقادات، بمعنى أخر بالثقافة وما يقدم للمجتمع والفرد خاصة.
- كونه موضوع يمس المنطقة الصحراوية بحكم انتمائي للمجتمع المدروس مولدا ونشأة.
- نظرا لاهتمام الباحثين في الغالب بظواهر تتعلق بمجتمعات مدنية فأردت أن أنحى منحى آخر وهو الاتجاه بالدراسة إلى مجتمعات صحراوية عانت التقوقع أحيانا والتهميش أحيانا آخرى.

- يقيني بأن البحث بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى لا يعيقه بعد مسافة ولا حرارة جو، إنما تحققه الإرادة.
- كوني من المنطقة موضوع الدراسة وأشترك في العادات والتقاليد واللهجة مع المجتمع المحلي مما سوف يسهل لي الدراسة الميدانية.
- محاولة إضافة لبنية أخرى للإِنَاثْ التي أرسوها أخواني الذين سبقوني من خلال مجال تخصصي (الأثنوبسكيتاري) في سبيل بناء صرح تاريخ المنطقة وخاصة تراثها.
- الرغبة في كشف الستار عن مآثر وخبايا المنطقة وخاصة الظواهر التي يخيم عليها نوعا من الغرابة والغموض.

ب- أسباب موضوعية :

- محاولة معرفة الطرق والوسائل المستعملة من طرف جماعة الطقس العلاجية والتي تؤثر على الحالة وتؤتي أكلها في الغالب.
- محاولة معرفة السر الكامن وراء هذه الممارسة الطقسية العلاجية والوقائية (لعبيد) في تأدية وظيفتها بالنسبة لبعض الأفراد.
- فتح المجال أمام دراسات أخرى تنصب في نفس الموضوع أو المواضيع المشابهة له في الغموض والتحير خاصة في الجنوب الجزائري.
- محاولة إظهار طابع الممارسة الطقسية المتمثلة في طقس "لعبيد" العلاجي ومحاولة فهمه من منافذ مختلفة بعيدا عن أحكام القيمة وبالتالي الوقوف على الوظائف النفسية والاجتماعية التي تؤديها هذه الممارسة الطقسية.
- محاولة تأسيس أرضية فيما يتعلق بالطقس موضوع الدراسة لتكون تمهيدا لدراسات لاحقة في نفس الموضوع، وأملنا مواصلة المشروع في الدكتوراه.
- التعريف بالطقوس العلاجية التقليدية وخاصة الجماعية والتي لها تأثير على النفس والمثيرة للدهشة كخطوة لإعطاء صورة ولو بسيطة عن تراث بلادنا في إطار تبادل الثقافات بين الجنوب والشمال.

- النقص الملحوظ في مجال البحث العلمي في علم النفس بالنسبة للمواضيع التي لها علاقة بالعلاجات التقليدية.

تحديد مصطلحات البحث :

- الطقس (Rite) :

مشتق من الكلمة اللاتينية (Ritus) وتعني عادات وتقاليد مجتمع معين إضافة إلى ذلك كل أنواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي.

الطقس يعمل على إثبات استمرارية الحدث التاريخي الشهير ومن خلال تكراره واستدامته القواعد التي تثبته يعمد إلى تكريس ديمومة الحدث الاجتماعي أو الأسطوري الذي أوجده، فهو إذن إعادة خلق وإحياء لماضي غامض غالبا، وهنا له من يستخدم الطقس على أنه فعل ديني وعندهم يأخذ معناه العميق[1].

الطقس هو سلوك فردي أو جماعي يضمن من خلال التكرار وعبر كل زمن وجيل استمرارية ماض ما مهما تكن طبيعته.

أوجزج غارنوف (1971):

"الطقس سلوك يتكرر تبعا لقواعد غائية بحيث لا نرى أن إنجازها يؤدي على آثار ذات فائدة... إذ أن فعاليتها هي من نسق خارج الإطار التجريبي، على الأقل".

لينهارد (1948):

"الطقس وسيلة في التعبير من أجل الانخراط في عالم خارج الإطار التجريبي".

J.Gazeneuve (1972):

يشير إلى أن مهمة الطقس ومجمل الطقوس الكامنة بشكل عام تتجلى في إنشاء علاقة حميمية ومعقولة بين عالم الحياة العادية وعالم الأجداد والألهة الأسطوري.

فان درلو (1940):

1- نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط1، 1988، ص:34.

"الطقوس هي إحياء وتحيين لتجربة مقدسة، فالطقوس عنده هي أساطير تتحرك لأن الأسطورة هي مؤسسة الفعل المقدس، فهي تسبق الطقس وتضمن بقاءه"[1]، لكن يبقى هذا الارتباط بين الطقس والأسطورة غير معمم البتة كما أشار كلود ليفي شروس (1956)، حيث يقول أنها كثيرة هي الطقوس التي تعمل بطريقة مستقلة نسبيا عن الوقائع الدينية أو الأسطورية الثانية.

1- نفس المرجع، ص:35.

- الأسطورة (Mythe):

مشتقة من الجذر اليوناني (Muthas) والتي تعني قصة أو حماية أو من الجذر (Mythos) وتعني قصة غير واقعية.

فهي قصة تقليدية ذات ثبات نسبي تناقلها الأجيال شفاهيا وأحيانا كتابيا وتتمتع بقدسية وسلطة عظيمة في عقول الناس ونفوسهم في عصرها[1].

روبرت Robert (1995=1299):

"Construction de l'esprit sans relation avec la réalité" فكلمة (Mythe) حسبه تعني تكوين معرفي بدون علاقة مع الواقع.

ويمكن التحدث عن الأسطورة على أنها عبارة عن سرد الأحداث يتميز بطابعه الإبداعي وتعطى له معنى ورمزية للأشياء المنسجمة مع بعضها البعض[2].

والأسطورة ذات مواضيع شاملة وكبرى كالخلق والتكوين والموت وأصول الأشياء والعالم الآخر...

ومن أبسط التعاريف التي أعطيت للأسطورة كونها حكاية مقدسة وفي كتاب: دين الإنسان لفراس السواح يشير إلى أن الأسطورة واحدة من ثلاث مكونات أساسية لأي ديانة ألا وهي: المعتقد- الطقس- الأسطورة[3].

مالينوفكسي:

الأسطورة تعمل على الحفاظ على إتزان الجماعة الاجتماعية ونقل نفس المعايير والقيم إلى الأجيال[4].

وليام روبرتسون سميث :

1- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، منشورات الأهلية، لبنان، ط01، 1998، ص57.

2- Marie Odile Géraud, Olivier Lesersoisier, Richard Pottier : Les nations clés de l'ethnologie, Armand Colin, Masson, Paris, 1998, p294.

3- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص65.

4- M.Odile Géraud, O.Lesersoisier, R.Pottier, les notion clés d'ethnologie, Op.cit, p298.

الأسطورة تحتل مكان التعاليم في جميع النظم الدينية القديمة لكنها غير ذات وازع مقدس وهي لا تقيم علاقات زائفة بين الأسباب والنتائج بل تشير أو تشفر الصلات دون أن تضعها في منطقة العلم التجريبي فالأسطورة تريد أن تقول شيئا حقيقيا لكنه غامض تخبئه الأحداث[1].

ويرى كذلك أن الأسطورة ليست جزءا جوهريا من دين قديم لأنها ليست في شريعة الدين ولذلك كانت غير لازمة للمتعبدين، والأسطورة تفسير أو تأويل لشعائر دينية[2] فهي وسيلة لتفسير العقائد والعادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية وهي بذلك لها وظيفتين: اجتماعية وثقافية، فهي تعبير عن وعي الجماعة الإنسانية بذاتها، وإدراكها لهويتها فهي تعكس بناء الحياة الاجتماعية وعلاقة المجتمع بعالم الآلهة والقوى الغيبية، بالإضافة إلى أنها تعبير رمزي عن جزء من تاريخ الجماعة وثقافتها المتمايزة[3].

كلود ليفي شتراوس:

"الأسطورة وسيلة لشرح تناقضات النظام الاجتماعي والعلاقة بين السلطة والقوة"[4].

ويشير **يونغ** أن للأسطورة وظيفة والمتمثلة في إضفاء المعنى على حياة الإنسان وإعطائها الحيز أو الفضاء لكشف شخصيته أو التعبير عن قوته الداخلية، فأهميتها تتجلى في رفع النفس إلى مستوى هائل وكوني[5].

1- خزعل الماحدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص72-99.
2- د.محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1980، ص18.
3- د.قاسم عبده قاسم، بين التاريخ والفولكلور، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، ط2، 2001، ص20.
4- نفس المرجع، ص17.
5- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص74.

والأسطورة واحدة من أعظم إنجازات العقل البشري إذ أن الفرد البشري لم يكتفي بما يراه بل سمح لخياله أن يصوغ ما قصه بطريقة جذابة ومشوقة، بتضمن الأسطورة للعلم البدائي والفلسفة التي جعلت من الإنسان يتأمل الكون ومعانيه وغاياته وما وراءه[1].

إذن من خلال ما سبق يمكن أن نقول إجمالا أن الأسطورة قصة تقليدية ذات ثبات نسبي وقداسة مربوطة بنظام ديني معين تتناقلها الأجيال وهي ذات موضوعات شاملة كبرى أهمها المقدسات (الإلهية) وليس لها مؤلف بل هي نتاج خيال جمعي.

1- نفس المرجع السابق، ص58-59.

- الرمز Symbole:

كاسيرر Cassirer:

يعرف الرمز على أنه العنصر الجوهري للثقافة الإنسانية وهو تعبير يشير إلى معنى حدسي عام أي أن له قيمة تصورية، والرموز الثقافية مظاهر موضوعية للتفكير مؤلفة بذلك عالما رمزيا خاصا بها.

وللرمز وظيفة ذاتية أي أنها عبارة عن تعبيرات عن الحياة أو الروح الإنسانية والدوافع النفسية الأساسية.

ويستخدم كاسيرر الشكل الرسمي في معان عدة أهمها أن الشكل الرمزي يشير إلى أنماط مختلفة من الأشكال الثقافية مثل الأسطورة[1].

تشارلز بيرس Peirce (1839-1914) :

قدم تعريفا للرمز إذ أدرجه ضمن تعريفه العام للإشارة إذ يرى أن الإشارة تضم ثلاثة (03) أنماط ألا وهي: الصورة، الدليل، الرمز. فالرمز عنده يتم بالدينامية وإمكانية التفسير والتأويل.

فرناند دي سوسر Fernand de Saussure (1857-1915) :

الرمز دال على الإشارة وهو يتسم بالصورية.

سوزان لانجر (1895-1985):

تؤكد على أن هناك أربعة (04) أنماط من الأشكال الرمزية وهي: اللغة، الشعيرة، الفن (الموسيقى، الرسم، التصوير)، الأسطورة.

وهذه الأنماط الأربعة تصنف في مجموعتين هما:

- الرمزية اللغوية أو اللفظية.
- الرمزية غير اللغوية وتضم: الأسطورة، الشعيرة، الفن.. [2].

دوركايم Durkeim:

1- السيد حافظ الأسود، الأنتروبولوجيا الرمزية، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط01، 2002، ص34-35.
2- نفس المرجع، ص36-39.

الرمز يتضمن العاطفة والمشاعر حيث تنبع فينا هذه الأخيرة من خلال شتى ما يربطها بصورة تلقائية بالرمز الذي يمثله، وبالنسبة لدور كايم يعتبر كل المعتقدات والشعائر ذات طبيعة رمزية تعبيرية[1].

كليفورد جرتز Geertz:

الرموز هي حاملات لمعاني أو تصورات تتحد معا كي تؤلف نصوصا ثقافية تسمح للناس بالتواصل والتعبير عن أنفسهم لبعضهم البعض وقد استخدم جيرتز كلمة رمز لتعني موضوع أو شيء يدل على شيء آخر أو معنى أخر أو شخص ما، إذ يمكن لأي موضوع أو حدث أو فعل أو علاقة أن يصلح كحامل لتصور ما.

فالرمز هو حامل للتصور أو المعنى سواء أكان الحامل موضوعا ماديا أو فعلا أو حادثة أو صفة أو علاقة وهكذا يوسع جيرتز مفهوم الرمز ليشمل أي شيء يمثل معنى معنيا لدى الأفراد[2].

ويعرف الرمز كذلك بعمقه ودلالته الغنية وتكوينه الطبيعي والعفوي[3].

الرمز عند **يونغ** هو حد لفظي لمعنى غير محدود وهو يختلف عن السمة أو العلامة Sign ، فالرمز يعبر عن حقيقة أو واقعة تنتمي معهما على قدم وساق لا أن تدخلهما في تناقض بنفي أحدهما لكي تثبت الآخر تبعا لموقفنا اتجاه أي منهما (الحقائق، الوقائع) [4].

1- أ.د. السيد حافظ الأسود، الأنتروبولوجيا الرمزية، مرجع سبق ذكره، ص53-54.
2- نفس المرجع، ص113-114.
3- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجعه سبق ذكره، ص410.
4- ك.غ.يوتغ، ترجمة نهاد خياطة، علم النفس التحليلي، دار الحوار، سوريا، ط1، 1985، ص14-15.

الفعل الرمزي:

يحمل معنى معين لا يرتبط بمجرد الأداء الحركي بل يرتبط كذلك بتأويل وتفسير الأفراد المؤدين له، فالرموز والفعل الرمزي لا ينحصران في الرمز والمرموز إليه فحسب، بل يتطلب عنصرا ثالثا ألا وهو المفسر أو الشخص الذي يستخدم الرمز ويقوم بتأويله وشرحه[1].

« Symbole qui ne représente pas seulement l'invisible, mais qui le rend présent, ici et maintenant, le symbole correspond pas en effet à un rapport artificiel ou arbitraire, il repose sur une identité, une participation du visible à l'invisible »[2] .

1- السيد حافظ الأسود، الأنتروبولوجيا الرمزية، مرجع سبق ذكره، ص26-27.

2- Les Beaupérin, Anthropologie du geste symbolique, 2002, p114.

- الاعتقاد – الإيمان- النية :

الاعتقاد- المعتقد: هو مجموعة من الأفكار الواضحة والمباشرة، التي تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات وتوضح الصلة بينه وبين عالم الإنسان، وغالبا ما تصاغ هذه الأفكار على شكل صلوات وتراتيل وجوهر المعتقد يكمن في الجزم بوجود قوة قدسية ثانية منفصلة عن عالم دنيوي[1].

الإيمان : قوة تكمن الإنسان من تحقيق بعض الأعمال الباهرة في الحياة الاجتماعية والنفسية والسلوكية، وقوة الإيمان تحدث فوارق تستعصي على التفسير العلمي وتخرج عن النسق المألوف والإيمان، يعتبر صورة من صور الإرادة الخالقة الخارقة بحيث تصبح للشخصية المؤقتة قوة وفاعلية لتحقيق ما تؤمن به[2].
والإيمان كذلك هو إدراك شيء ما على أنه صادق دون برهان[3].

النية: هي قصد الإنسان بقلبه ما يريده بفعله، فهي القصد والإرادة.

ولما كانت النية بهذا المفهوم وتوجه كذلك بالقلب والميل إلى ما يريده الفرد بفعله، وحديث النفس بالنية دون الميل إلى ما يريده الفرد بفعله، وحديث النفس بالنية دون ميل إلى ما يريده الفرد بفعله لا يعني عن ذلك الميل ولا يعتبر نية[4].

1- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص79.
2- عبد العلي الجسماني، القرآن وعلم النفس، ج6، دار العربية للعلوم، ط1، 2000، ص86-89.
3- م.رونتال- ب.يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط6، 1987، ص70.
4- محمد عبد الرؤوف بهنسي، النية في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، ط2، 1987، ص7-9.

- المقدس Le sacré:

مرحلة مميزة من التعزيم الجماعي إذ من خلاله يتخلى الجميع معا من المدنسات الناشئة عن الاجتياف اليومي للنماذج الغربية[1].

يختلف المقدس من مجتمع إلى آخر ومن شعب إلى آخر والمقدس يتكون من اتجاه عقلي انفعالي وهو الذي يفصل بين الأشياء فيميز أحدها بالتقديس.

فالمقدس هو الشيء المحبوب ويتخطى حدود المنفعة اليومية، ولا يفهم عن طريق التجربة الحسية ولهذا فهو يحاط بشيء من الاهتمام والتقديس.

والمقدس قد يكون مرئيا كالكعبة عند المسلمين فهي مكانا مقدسا، وقد يكون غير مرئي، الأرواح، الملائكة..

وهنا يمكن أن نشير إلى نقطة هامة وهي أن الحقيقة أن الأشياء هي ذاتها ليست هي التي لها قداسة ولكن طبيعة الاتجاهات والمشاعر هي التي تضفى عليها القداسة[2].

المقدس يعادل القوة، وفي النهاية يعادل الحقيقة بامتياز وهو مشبع بالكينونة وذو قوة مقدسة تعني الحقيقة والخلود والفعالية[3].

والمقدس يشكل جوهر الاعتقاد الديني "فهو في تمظهراته الواقعية مكان وزمان وإنسان، والأضرحة أمكنة مقدسة، لأنها قبور لأناس مقدسين يملكون قدرات خارقة من أجل التوسط عند الله لأجل الحاجات وإبعاد الكوارث والأهوال، تؤدي هذه المزارات الدينية وظيفة الترياق ضد القلق والتوتر وتمنحهم الطمأنينة المنشودة، وهذا الاعتقاد هو جزء من الحياة الدينية السائدة والمنسجمة والمتوافقة مع التنظيم الاجتماعي ومع الحس المشترك"[4].

وبالنسبة لعالم الاجتماع دوركايم يرى أن "المقدس هو مجموع الأشخاص والأشياء والأفعال التي الجماعة الاجتماعية قررت أن تضعها خارج المألوف والطبيعي، فالأشياء المقدسة لا تملك شيئا يجعلها كذلك فأخذت طابع التقديس لأن

1- نور الدين طوالي، الدين الطقوس والتغيرات، مرجع سبق ذكره، ص286.
2- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص200.
3- مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، ط1، 1988، ص18.
4- المختار الهراس، إدريس بن سعيد، التحولات والتغيرات الاجتماعية في البوادي المغربية، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2002، ص154.

المجتمع هو الذي منحها ذلك من خلال جعلها خارجة عن الطابع المألوف واتخاذها كرموز مقدسة"[1].

1-Jean CAZENEUVE, et Siplus rien n'était sacré, Institut Perrin, 1991, p164.

- الجماعة Le groupe:

هي وحدة اجتماعية ذات كيان واضح المعالم يلتزم أفراده إزاء بعضهم البعض بالعديد من العلاقات وصور المساعدة[1].

ومن أهم ما يتصل بالجماعة حسب علماء الاجتماع هو أن الجماعة تسهر على إلزام أفرادها بالقواعد والعادات والآراء المتوارثة التي تسير عليها[2].

والجماعة في مفهومها المنطقي تصنيف لطائفة من الناس يشتركون معا في صفة أو صفات متعددة، فهي بهذا فئة من فئات التصنيف.

والجماعة كذلك هي التي يتفاعل أفرادها مع بعضهم البعض في مواقف محددة، وما ينشأ عن هذا التفاعل في تلك المواقف من علاقات اجتماعية متبادلة.

وهذا التفاعل حينما يقرب عدد أفراد الجماعة من ثلاثين فردا نسمي جماعة صغيرة والتي يعرفها **سميث Smith** على أنها وحدة تتكون من مجموعة قليلة من الأفراد الذين يتصفون بإدراك اجتماعي مشترك أو متشابه.

ويؤكد فرويد في تحديده لمفهوم الجماعة على وحدة القيم والمعايير التي توجه سلوك كل فرد من أفراد الجماعة مع الآخرين.

يتمحور مفهوم الجماعة عند دوتيش ليشمل وحدة الهدف الذي تسعى الجماعة - كجماعة- لتحقيقه[3].

1- د.محمد الجوهري، علم الفلكلور (دراسة في الأنتروبولوجيا الثقافية)، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص310.

2- نفس المرجع، ص330.

3- فؤاد البهي السيد، د.سعد عبد الرحمن، علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص62-63.

- الفلكلور:

يعني الفلكلور بوجه خاص جمع ودراسة ما يصدر عن الجماعة من إبداعات وممارسات شعائرية ومراسيم وما يصدر عنه من عادات وتقاليد، فالفلكلور هو المادة الشعبية موضوع علم الفلكلور.

وللمرويات الفلكلورية مكانة كبيرة في علم الميثولوجيا لما تناوله من أساطير أو خرافات أو حكايات شعبية أو ملاحم أو قصص حيوانات إلى غير ذلك... [1].

والفلكلور هو كل ما يصدر من الشعب من إبداع وما يمارسه من شعائر ومراسيم وكذلك ما يصدر عنه من عادات وتقاليد حسب د.عبد الحميد يونس.

ويشير أ.رشدي صالح إلى أن الفلكلور هو الذي يتناول ما هو حي دارج ذائع في حياة الناس من عادات وتقاليد وللفلكلور وظيفة تتمثل في تبرير طقوس الجماعة ومراسيمها وعلاقات وحداتها بعضها بالبعض لأولئك الذين يقومون بها[2].

1- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص67.
2- محمد الجوهري، دراسات في علم الفلكلور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص214-215.

تمهيد :

تعتبر الطقوس رد فعل للتجربة الحقيقية المطلقة أو العليا، فالطقوس إذن هي تعبير عملي للتجربة الدينية أو الاستجابة الكالمة للشخص بأكمله للحقيقة العليا التي تتخذ شكل الفعل إذ يجب أن ينظر إلى الممارسة الطقسية على أنها فعل يقع في مكان وزمان وفي محتوى قد يتشكل بظروف مختلفة.

فالممارسة شكل حر ولكنها في الوقت نفسه تتخذ شكلا معينا وتتصف بالتلقائية في آن واحد، قد يكون هذا الفعل بسيطا أو معقدا ولكنه في كل الحالات فعل لشخص ما يحاول الاقتراب[1] من الحقيقة العليا.

فالطقوس إذن هي تعبير عهن المواجهة والتي قد تأخذ شكل العبادة أو الخدمة.

1.أهداف الطقوس :

أ- الهدف الحيوي الاستمراري:

يعتبر التكرار أساس للسلوك الطقسي وكون أن الطقس سلوك قد يكون فردي أو جماعي يضمن من خلال التكرار وعبر كل الأزمان والأجيال استمرارية ماضي ما.

ب- الهدف الديني :

تندرج فعالية الطقس في سياق يكون خارج الإطار التجريبي كما أشار لينهارد (1948) وهنا يكون الاتصال مع ما هو مقدس هو الحافز الواضح والمسيطر على النشاط الطقسي، مما يعني أنه يعبر عند الإنسان عن حاجة متجددة دائما للخروج من وضعه كي يؤمن لنفسه المصالح المطمئنة باعتبارها تثق بمعتقداته بقواه الخارجة عن الإلهية أو الجهنمية[2].

2. وظائف الطقوس :

أ- وظيفة دينية :

1- محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الديني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص309.
2- نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، مرجع سبق ذكره، ص35.

لم تعد علاقات الطقس بالدين بحاجة إلى برهنة فكل دين إلا ويفرز طقوس خاصة به يستخدمها في نمط ثابت لأهداف دينية وأخرى تذكارية لطمئنة فكر الإنسان المرتبك، فالاحتفال الطقسي يبحث عن مناسبة للتقرب من القدرة الفوطبيعية التي تقلق وتهيمن في نفس الوقت.

ويشير كازنوزف 1971 (J.Cazeneuve) إن القصدية الدينية للطقوس تجد حقيقتها في تحولات الوضع البشري ومن بين هذه التحولات الأكثر إرباكا هي الشعور الذي يدركه الإنسان حول المقدس وهو شعور مبهم ومحير يضطره إلى إحداث تعديلات متلاحقة ومنظمة لوضعه المشوش، أو ما يمكن تسميته بالقلق الوجودي وعن طريق الطقوس يتقرب الإنسان من العالم المقدس موضع تهدئة اضطراباته[1].

فالطقس بمختلف بدائله التطهيري والسحري لا هدف له سوى إعادة التوازن الداخلي للإنسان وهذا ما يشير إليه ج.كازنوف، وهكذا تكون وظيفة الطقس الدينية دفاعية.

ويشير كذلك ج.كازنوف "...يُلجأ إلى الطقوس لاستعادة التوازن المفقود، ليتقي الدنس أو يتخلص منه... إن المحرمات، التطهيرات، طقوس الانتقال، هي ردود فعل دفاعية ضد هذه التهديدات".

إذن: ج.كازنوف يربط الطقس بتوقعات الوضع البشري في علاقاته مع الروحي والمقدس[2].

من أهم الوسائل الطقسية القادرة على تحقيق التقارب من القوى العليا نجد الصلاة والتضحية كونهما تستعيدان البعد الديني في الطقس، الصلاة باعتبارها طقس شفوي يركز على تحقيق أمنية معنية والتضحية في كونها طقس عطائي دعامة لهذه الصلاة وتضمن شروط تأثيرها الرمزية والدينية.

1- نور الدين طوالبي، الدين والطقوس والتغيرات، مرج سبق ذكره، ص38.
2- نفس المرجع السابق، ص38.

وتقدم هذه الأخيرة (التضحية) قربانا كموضوع تبادل بين المتضرع الذي يلتمس والمتضرع إليه، إذن يرى ر.ياستيد(1975) Bastide في هذا تداخل القوى بين الإنسان والألوهية إذ تسهم التضحية في تحرير طاقة ضرورية للقوى الملتمسة ضمن مهمتها المتعلقة بتوكيد حياة المؤمنين بها[1].

ب- وظيفة رمزية:

مهما تكن الدوافع الاجتماعية والدينية المفسرة للنشاط الطقسي يوجد دائما دافع واحد نفسي له الغلبة، وهنا يشير اريك فروم أن الطقس في نهاية المطاف ما هو إلا تعبير رمزي عن الأفكار والمشاعر بواسطة الفعل[2].

1- نور الدين طوالبي، نفس المرجع السابق، ص38.
2- نفس المرجع الساق، ص41.

3. الطقس – الأسطورة – المعتقد

أ- الأسطورة والمعتقد:

على اعتبار الأسطورة ظاهرة من أهم الظواهر الثقافة الإنسانية تميزا وخصوصيتها العالية، إذ أنها حكاية تقليدية تلعب الكائنات الماورائية أدوارها الرئيسية وهي بذلك مادة غنية تساعدنا على فهم وتفسير ظواهر الثقافة الإنسانية[1].

وإذا أردنا أن نسلط الضوء عليها أكثر فهي :

1- من حيث الشكل: قصة تحكمها مبادئ السرد القصصي من شخصيات وحبكة وعقدة وغالبا ما تصاغ في قالب شعري ليسهل ترتيلها في المناسبات الطقسية وتداولها شفاهة وهذا ما يزودها بسلطان على العواطف والقلوب.

2- من حيث المضمون: يحافظ النص الأسطوري على ثباته عبر فترة طويلة من الزمن وتتناقله الأجيال طالما حافظ على طاقته الإيجابية بالنسبة إلى الجماعة.

3- من جانب التأليف: لا يعرف للأسطورة مؤلف معين بل هي نتاج جماعي يخلقها الخيال المشترك للجماعة وعواطفها وتأملاتها، لكن هذا لا يمنع من خضوعها لتأثير شخصيات روحية متفوقة.

4- إن الآلهة وأنصاف الآلهة تلعب الدور الرئيسي في الأسطورة والإنسان على مسرح أحداثها، له دورا مكملا لا رئيسيا[2].

5- تتميز موضوعات الأسطورة بالجدية والشمولية مثل: التكوين، الأصول، الموت، العالم الآخر، معنى الحياة، سر الوجود... مستخدمة الخيال والعاطفة والترميز والصور الحية المتحركة[3].

6- تجري أحداث الأسطورة في زمن مقدس هو غير الزمن الحالي ومع ذلك فإن لها مضامين أكثر صدقا وحقيقة بالنسبة للمؤمن بها .

1- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرجع سبق ذكره، ص08.
2- نفس المرجع الساق، ص12.
3- نفس المرجع الساق، ص13.

7- ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في طلب طقوسه.

8- تتمتع الأسطورة بقدسية وسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم وهي بذلك تخلص إلى مفهوم شامل كونها حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يكشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان[1].

والأسطورة تعمل على أنسنة الكون ببث عنصر الإيرادات الفاعلة والعواطف المتباينة، وترى في كل ظاهرة موضوعية نتاج إرادة أو عاطفة ما.

والأسطورة تضع صورة لكون حي تقوم على إيرادات وعواطف تتبدى في شكل حركي، وفي سعيها لخلق هذه الصورة تستعمل وسائل الترميز، كما تفتح البوابات على مصراعيه بين الوعي واللاوعي في تجربة متكاملة تحفظ من خلالها علاقة الإنسان الطبيعية مع عالمه من جهة وثقافته من جهة أخرى.

وهكذا تفرض الأسطورة سطوتها على النفس كونها تعطينا ذلك الإحساس بالوحدة بين المنظور والغيبي، الحي والجامد، الإنسان وبقية مظاهر الحياة.

فالنظام الذي تخلقه الأسطورة حولها هو نظام إنسان متعدد الأبعاد الذي يرى نفسه جزء لا يتجزأ من العالم الذي يعمل على تفسيره ويدرك بطريقة ما أن المفسِر والمفَسَر وجهان لعملة واحدة.

إذن الأسطورة تعمل على ربط طرفي الوجود: الإنسان/ الوعي، الكون/المادة[2].

وهنا يمكن القول أن الأسطورة تقوم بنقل معاني عبارة عن إيحاءات وإشارات وتضمينات معتمدة على استخدام الظلال السحرية للكلمات، هذه الأخيرة ذات الوجهين: الوجه الدلالي الذي يرتبط بالمعاني المباشرة للمسميات ووجه آخر سحري يتدرج بين

1- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرج سبق ذكره، ص14.
2- نفس المرجع الساق، ص21.

الخفاء والوضوح قادرة على الإيحاء بمعان غير مباشرة واستثارة شاعر وأهواء كثيرة.

وهي بهذا (الأسطورة) لها سلطان على النفوس ومقدرة على تثبت الأفكار والمعتقدات، وهذا ما يشير إلى الصلة الواقعة بين الاعتقاد أو المعتقد والأسطورة وضرورة كل واحد للآخر، وهذا بسبب النزوع الطبيعي عند الناس نحو البيان والإيمان.

فسحر الأسطورة وأثرها الفعال في توصيل الأفكار المجردة وتثبيت المعتقدات يفسر الوحدة المصيرية بين الدين والأسطورة أو المعتقد والأسطورة[1].

والأسطورة تكشف القداسة المنطلقة، لأنها تحكى النشاط الخلاق للآلهة وتكشف قداسة عملها، وبعبارات أخرى تصف الأسطورة الانقطاعات المختلفة والمأساوية أحيانا للمقدس في العالم، ولهذا السبب لدى الكثيرين لا يمكن للأساطير أن تروى بلا مبالاة... فالأسطورة في غالبها تظهر كيف أن حقيقة الشيء قد جاءت إلى الوجود، سواء كان هذه الحقيقة الكلية أو جزءا منها فقط[2].

ب- الطقس والأسطورة:

إن العروة الوثقى التي تجمع الطقس إلى الأسطورة طرحت كإشكالية في مطلع القرن 20م، إثرها نشأت نظرية "الأصل الطقسي للأسطورة"، إلا أن هاته الأخيرة لم يكتب لها بداية أن تثبت إلى أن تبناها جيمس فريزر (James Frazer) في كتابه الغصن الذهني من ثمة عملت مجموعة من الباحثين عرفت بجماعة كامبريدج عملت على تطويل النظرية ودراسة الأسطورة على أساسها. من أهم هؤلاء الباحثين:

..... A.B.Cook ، F.M.Conford ، Gilbert Murray ، Jone Harrison

والتي رأت أن الأسطورة ناتج من نواتج الطقس الأسبق عليها، فالطقوس المؤسسة قديما تفقد بمرور الأيام معناها وغاياتها وتتحول إلى إجراءات مبهمة قد يجهل

1- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرجع سبق ذكره، ص22-23.
2- مرسيا إلياد، المقدس والمدنس، مرجع سبق ذكره، ص75.

ممارسوها والقيمون عليها مدلولاتها ومضامينها، عندها تأتي الأسطورة لكي توضح أصل الطقس ومعناه، مقدمة تبريرا مقنعا لتلك الإجراءات المتناقلة عبر الأجيال[1].

الشعيرة التي قد تتجسد في شكل طقسي في حقيقة أمرها أمور دينية، تفسر من خلال الأساطير والمعتقدات الخاصة بالأرواح والقوى والآلهة، ولا تسأل الناس لماذا يؤدون هذه الشعائر أو الطقوس وكل ما يهم أنها تلب رغبة الإنسان في التخلص وإزالة القلق والخوف الذي قد ينتابه[2].

ويصور بعض علماء الاجتماع والأتنولوجيا أن في كل أسطورة إسقاطا إيديولوجي لطقس من الطقوس مخصص لتقديم أساس لهذا الطقس[3].

ونجد يونغ K.Young يشير إلى أن الأساطير والطقوس كانت ترتبط تقليديا بالدين ومن ثمة أصبحت تؤدي أدوارا معينة في حياتنا اليومية، وأن للطقوس معاني رمزية في مواقف الشدة كالموت أو الميلاد... [4].

ج- الطقس والمعتقد :

تؤدي الخبرة الدينية الانفعالية المباشرة إلى حالة من الشدة لدى الانسان تستدعي القيام بسلوك ما من اجل إعادة التوازن إلى النفس التي غيرت التجربة من حالتها الاعتيادية وهذا السلوك ندعوه طقسا، إذن فهو مجموعة من الإجراءات والحركات التي تأتي استجابة للتجربة الدينية الداخلية وتهدف إلى عقد صلة مع العوالم القدسية إذ كانت الموسيقى الإيقاعية والرقص الحر أول أشكال هذا السلوك الطقسي الوقائي الذي تحول بالتدريج إلى طقس مقنن تجري تأديته وفق قواعد مرسومة.

1- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرجع سبق ذكره، ص145.
2- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني، مرجع سبق ذكره، ص99.
3- كلود ليفي، ستروس، الأنتروبولوجيا البنيوية، ترجمة د.مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص273.
4- عبد الرحمن عيسوي، سيكولوجية الخرافة والتفكير العلمي، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1982-1983، ص63.

إن تقنين الطقس وتنظيمه في أطر محددة ثابتة يترافق مع تنظيم التجربة الدينية للأفراد وضبطها من كلام المعتقد (معتقدات) بشكل واضح، بالنسبة للجماعة تؤمن بها إيمانا راسخا، أما بالنسبة للأفراد تعبيرا عن تجاربهم الدينية الشخصية[1].

فالطقس يضم الجانب الانفعالي والعملي من الدين وعن طريقه يظهر المعتقد من كوامنه الذهنية والعقلية والنفسية إلى عالم الفعل، والطقس شأن شعبي يتيح بطبيعته مساحة أوسع للناس فرغم أن الخاصة تشرف عليه وتوجهه ولكن العامة تعمل على تحويله إلى عادة راسخة تتناقلها الأجيال.

والطقس ليس مجرد نظام من الإيماءات التي تترجم إلى الخارج ما نشعر به من إيمان داخلي، بل هو أيضا مجموعة الأسباب والوسائل التي تعيد خلق الإيمان بشكل دوري، لأن الطقس والمعتقد يتبدلان الاعتماد على بعضهما البعض، فرغم أن الطقس يأتي كناتج لمعتقد معين فيعمل على خدمته فإنه هو نفسه ما يلبث أن يعود إلى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه[2].

د- الأسطورة – الطقس – المعتقد :

تعتبر هذه العناصر الثلاثة مكونات الدين الرئيسية فمكانة الأسطورة من المعتقد الديني كونها امتدادا طبيعيا له فهي تعمل على توضيحه وإغنائه وتثبيته في صيغة تساعد على حفظه وتداوله بين الأجيال، كما أنها تزوده بالجانب الخيالي الذي يربطه بالعواطف والانفعالات الإنسانية.

والأسطورة كذلك تحاول أن تجسد المعتقد بروح شعبي قصصي متداول، فهي تبسط المعتقد وتجعله دنيويا ميسرا على شكل حكاية تتداول حول المقدس الذي هو جوهر المعتقد.

إذن فحقيقة الأسطورة ورسوخها في المعتقد وتمثيلها له يوضح علاقتها معه بشكل واضح.

1- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرجع سبق ذكره، ص129.
2- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص80.

وأما من حيث الارتباط بين الأسطورة والطقس والمعتقد كون الطقس يكاد يكون التطبيق العملي للأسطورة والمعتقد معا، لأن الطقوس التي ترافق الأديان كانت في أغلبها تحتوي على ما يشير إلى وجود حكاية مقدسة تقف خلفها، هذا إذا اعتبرنا أن بعض الطقوس هي إعادة حكي أو قص أو تمثيل للأساطير نفسها.

يشير السير جميس فريزر إلى أن الأسطورة محصلة ما حاكه الإنسان عن الأفعال التي كان يقوم بها والتي هي عبارة عن طقوس سحرية كان يؤديها والتي كان يتلو أثناءها بعض العبارات والتعاويذ المكملة لها ومن خلال المحاكاة والسرد نتيجة الأسطورة ويضيف أنه إذا ما اندثرت طقوس السحر مع الزمن فإن الأسطورة ستظل تحمل مضمونها ورموزها [1]. في رؤية الأنتربولوجي الفرنسي كلود ليفي ستراوس مؤسس المنهج البنيوي لتحليل الأسطورة أن هاته الأخيرة عبارة عن لغة رمزية أو جملة رموز أو إشارات، والتفكير الأسطوري تفكير منطقي شديد التماسك.

والأسطورة عند ليفي ليست مجرد حكاية بل يتكشف من خلال رمزيتها بناء العقل البشري.

أما رائد مدرسة التحليل النفسي سيغموند فرويد فيرى أن الأسطورة مشحونة برموز وهي بهذا مثلها مثل الحلم يكشف عن أعماق الفرد الحالم ورغباته اللاشعورية ومكبوتاته وكذلك هو الحال بالنسبة للأسطورة باعتبارها مدونة حلمية من الماضي تقوم بالكشف عن أعماق منتجها ودوافعه اللاشعورية ومكبوتاته وقواه العميقة.

على غرار يونغ الذي يرى أن الأسطورة نظيرة الحلم الجماعي اللاشعوري فهي نصوص حلمية لا شعورية للمجتمعات القديمة وتحلل نفسيا للكشف عن الرموز الإنسانية المشتركة التي مازالت تلعب دورا خفيا في تحريك حياة الإنسان، فردا أو جماعة على السواء[2].

وإذا أردنا أن نعرج على الصلة القائمة بين الأسطورة والشعيرة التي هي رموز غير لفظية، فيشير وليام روبرتسون سميت لهذا الصدد أن الدراسة الواعية للأساطير

1- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص80.
2- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص73-74.

تلزم دراسة شعائر على اعتبار أن الشعيرة تعطي تفسيرات للأساطير وهكذا بالنسبة له الشعيرة ظهرت أولا ثم تلاها في الظهور الأسطورة[1].

تسهم الأسطورة بدورها الفاعل في تقدم اللغة الرمزية أو الرمز بحيث يصبح هذا الأخير من أهم قوانينها على اعتبار أن الرمز لغة باطنية تنتج عن الخبرات والمشاعر والأفكار الباطنية وهي لغة عالمية تتجاوز خصوصية المجتمعات[2].

وهكذا يمكن أن نشير إلى أن للرمز خصائص أهمها:

- له أهمية كبيرة تنعكس في مناقشات وأحاديث وأراء أفراد المجتمع.
- تكرار واستمرار واستخدام الرمز في أكثر من فعل أو مضمون ثقافي واجتماعي على سبيل المثال في الطقوس، الشعائر، الأساطير، الفن...
- ارتباط الرمز باتجاهات ومشاعر إيجابية وسلبية من قبل أفراد المجتمع.
- تعدد المعاني التي تحملها الرمز بالرغم من ارتباطه بمعنى محوري مهيمن.
- أن يكون الرمز موضوع تأويلات وتفسيرات والتوضيحات الثقافية[3].

وهنا تجدر الإشارة إلى الرموز الدينية التي تتجسد في أشخاص معينين: أشخاص ينتمون إلى الأشراف نسبة لسلالة الرسول صلى الله عليه وسلم وأشخاص لا ينتمون إلى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن نالوا القيمة الرمزية المتمثلة في المقام الرفيع، مكانة الإشراف، من خلال البركة التي أنعم الله عز وجل بها عليهم بإتباعهم طرق الحق والمساواة والعدالة في التعامل مع الأفراد[4].

ويؤكد بول رابينو (Rabinow) من خلال دراسته للمغرب بتركيزه على دراسة الأشكال الرمزية في ثباتها وتغيرها عبر الزمن.

عن هذه البركة وما يرتبط بها من قوة دينية أو رموز مهيمنة يمكن أن تنتقل بالوراثة أو الميراث من الولي إلى الأبناء، وهكذا في دراساته خلص إلى أن البركة

1- نفس المرجع، ص72.
2- نفس المرجع، ص400.
3- السيد حافظ الأسود، الأنتروبولوجيا الرمزية ، مرجع سبق ذكره، ص27.
4- السيد حافظ الأسود،، نفس المرجع السابق، ص182.

لازالت تلعب دورا كبيرا في الحياة الاجتماعية والسياسية في المغرب باتخاذها شكلا رمزيا ماديا[1].

ويمكن هنا أن نضيف رؤية (ليتش) فيما يخص الطقوس والرمز حيث يشير إلى أن الطقوس تتيح أو تفسح المجال للترميز وأهم هذه الطقوس قد نجد: الزواج، الولادة، التطهير، الأضحية... [2].

تترسخ الأسطورة من خلال الأفعال الطقسية ذات المعنى والمؤدى العميق لممارسة تأثيرها من خلال نصوصها المتداولة بين الناس والنزوع الأسطوري المتجذر في السيكولوجية الفردية والجمعية[3].

وبهذا فهي تمارس دورا أساسيا في تثبيت وترسيخ المعتقد ولكن بالنتيجة يبق هذا المعتقد صورا وأفكار لا تصنع دينا إلا عندما تدفع إلى سلوك أو فعل وعندها يتم الانتقال من حالة التأمل إلى الحركة ومن التفكير في العوالم القدسية إلى اتخاذ مواقف عملية منها، فنتقرب إليها أو نسترضيها أو نسخر قواها لصالحنا.

فالمعتقدات تدور حولها أساطير أين تضع هاته الأخيرة في موقف ذهني من المقدس، عندها يأتي الطقس ليضعنا في موقف عملي في حالة فعل من شأنها إحداث رابطة واتصال مثلها في ذلك مثل تأدية حركات معينة ورقصات إيقاعية وتكرار صيغ كلامية ذات أصل خاص على النفوس عندها ينتقل الأفراد المستغرقين في الأداء الطقسي الجمعي إلى مستويات غير اعتيادية للوعي يشعرون معها بتلاشي الحدود بين العالم الدنيوي والعالم القدسي[4].

يعتبر الدين في عمقه السيكولوجي اختبار للمقدس من خلال حالة انفعالية سابقة على أي تصور عقلاني وهذه التجربة يتعرض لها الجميع لكن بدرجات متفاوتة بين الشدة والوضوح ويتعاملون معها بدرجات متفاوتة كذلك من القبول والاعتراف[5].

1- نفس المرجع، ص182-183.
2- بودون وف.بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة د.سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1976، ص439.
3- فراس السواح، الأسطورة والمعنى، مرجع سبق ذكره، ص29.
4- فراس السواح، نفس المرجع السابق، ص129-130.
5- نفس المرجع، ص24.

هذه الخبرة لا تنحصر في السيكولوجية الفردية بل عادة ما تحول لتصب في تيار عقيدة مؤسسة تنشأ حولها طقوس وأساطير تكون بمثابة المرشد والمنظم لهذه الخبرة الدينية، وهنا تقوم الأسطورة الجمعية بترميز الخبرة الدينية وتعمل على تموضعها في الخارج، عندها تأتي الطقوس لتلعب دور المطهر للانفعالات الدينية العنيفة. وعندئذ تتحول التجربة الانفعالية إلى صورة أو مجموعة من الصور ويتبلور المعتقد الديني مع الأساطير التي تعيد تقديم الانفعال الديني إلى الوعي وقد تحول إلى معتقد، فالأسطورة تنشأ من المعتقد الديني وهي امتداد طبيعي له إذ تعمل على توضيحه وإغنائه وتثبته في صيغ تساعد على حفظه وتداوله بين الأجيال، وتزوده بالجانب الخيالي الذي يربطه إلى العواطف والانفعالات الإنسانية[1].

1- نفس المرجع، ص24.

4. أنواع الطقوس:

أ- الطقوس السحرية:

تقوم على الإيمان بوجود قوة سارية في الكون حيادية، أي أنها فوق الخير والشر، والاعتقاد بوجود القوة السحرية شكل من أشكال الاعتقاد الديني، والطقوس التي نشأت من أجل التعامل مع القوة السحرية هي أول أنواع الطقوس التي تهدف إلى التأثير على القوة الحيادية وتوجيهها لتحقيق غايات معينة[1].

ب- الطقوس الدينية الروتينية:

تحتل الصدارة فيها الصلاة والقرابين، فالصلاة طقس ديني روتيني أساسي أين المصلى يتلو في المعبد نصوصا معدة مسبقا مرفوق بريتم موسيقي بالتضرع والتوسل، وهناك طقوس دينية روتينية تؤدي كلما دعت الحاجة لها، على سبيل المثال الطقس الطبيعي في استنزال المطر (عند المسلمين صلاة الاستسقاء) وهنا قد تدخل الطقوس الجنائزية، العزائية [2].

ج- الطقوس الدورية الكبرى:

يرتبط هذا النوع بأساطير التكوين، فالطقس هنا هو الأسطورة وقد تحولت إلى سلوك يستهدف استعادة الزمن الميثولوجي حيث يكرر الطقس الدوي بشكل مرئي ومسموع حدث مضى في أزمنة ميثولوجية الأولى فيجعله حاضرا مرة أخرى[3].

1- نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، مرجع سبق ذكره، ص130.
2- نفس المرجع، ص139.
3- نفس المرجع، ص143.

5. الرمز والمقدس

إن محاولات التعبير عن جوهر الشعور الديني الذي يمكن القول عنه أن لا يوصف هي رمزية وليظل العالم غير المرئي والمتمثل في المقدس غير المرئي حيا في عقول وقلوب المؤمنين به تتدخل هنا الرمزية بوظيفتها والتي من شأنها تحقيق هذا الإحياء، حيث أن الرموز لها قوة استجلاب المشاعر ومن ثم فهي تعتبر نتيجة لتاريخها المشترك مع المقدس وتعد واحدة من القوى المؤثرة أو المثيرة للمشاعر الإنسانية، ولهذا فليس من الغريب أن نفهم أن المشاركة في رمز شائع هي طريقة فعالية لتقوية وحدة جماعة المؤمنين لهذا المقدس[1].

6. الطقس والجماعة:

إن المشاركة في الاعتقادات والممارسات بواسطة جماعة اجتماعية تؤمن بأهمية هذه المشاركة (الجماعة) تعتبر شيئا أساسا في أي دين، وعندما تأخذ هذه المشاركة مكانها في شكل جماعة تحتفظ الاعتقادات والممارسات بحيويتها.

وهذه الجماعة قد تكون قبلية معينة تحتفظ بشعيرة طوطمية وليس المهم نوع أو شكل الشعيرة ولكن المهم هو المشاركة، وعملية المشاركة هذه في الشعائر العامة والرمزية والاعتقاد كل هذا يقوى إحساس الجماعة بذاتها[2].

1- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني، مرجع سبق ذكره، ص302-303.
2- نفس المرجع، ص303.

تمهيد:

تعتبر العلاجات التقليدية الجماعية بما نقوم عليه من معتقدات وما يدور حولها من طقوس وممارسات وأساطير وتعبيرات رمزية.

من أبرز الظواهر التي يعرفها المعتقد الشعبي المغاربي والمشرقي من الوطن العربي والمميزة لتراثه.

هذه الظواهر وخاصة منها المحيرة والمثيرة للاستغراب والانبهار تشد إليها بعض الأفراد والجماعات إذن و من خلالها يوجهون سلوكاتهم وتتشكل هويتهم الفردية والجماعية من خلال التنشئة وأحيانا أخرى تعتبر رموزا تعبر عن تصوراتهم وقيمهم ومعتقداتهم، هاته الظواهر الطقسية التي يعتبرونها وسيلة اتصال بين الدنيوي والمقدس، وبهذا فهي تأخذ شكل القداسة وذلك لاحتوائها على رموز مقدسة وأذكار وأدعية...

وبصفتنا كباحثين ارتأينا هذا الفصل ليكون صورة حية عن هاته الظواهر الطقسية الجماعية وبالتحديد العلاجية، حيث بداية تطرقنا إلى تعريف الجماعة العلاجية ومن ثمة تعريف الممارسات العلاجية الجماعية الفلكلورية وأهم وظائفها العلاجية، وأهم الطقوس العلاجية الجماعية عموما، ثم أهم الطقوس العلاجية الجماعية بمنطقة توات لنركز في هذا العنوان على طقس جماعي يتخذ كطريقة علاجية لبعض الإعاقات النفسية أو العضوية بالمنطقة والمعروف باسم –لعبيد- موضوع الدراسة وأخيرا تفسير الطقوس العلاجية.

1. تعريف الجماعة العلاجية :

يتم الإقبال على المجموعة العلاجية من طرف الآخر لأنه يجد فيها الوقوف إلى جانبه وتدعمه في شدته ومرضه، على اعتبار أنه كان في حياة مليئة بالضغوطات وبالتالي فهو يأتي لهذه الجماعة لجد نوعا من الراحة أثناء تأدية الجماعة لطقوسها، المشارك في الطقس يجب أن يستظهر ألامه (التعب، الحزن...) ويبين أن مصيره هش وأنه جاء ليطلب المساعدة من الجماعة، وهو ما نعبر عنه في مصطلحنا العامي النية.

وكذلك للجماعة عليها أن تتجاوب معه في طلبه التدعيمي والوقوف بجنبه وكذلك ليجد الراحة وتحطيم وحدته ويتخلص من معاناته، فهو لجوء للمقدس إذن، فالفرد في عصرنا الحالي بدأ يبتعد عن الدين ولكن عند المرض يجد نفسه بحاجة إلى هذا الدين لكي يتخلص من المواقف التي تكون فوق قدرته، فهو دائما يحتاج إلى تجربة المقدس[1].

2. الممارسات العلاجية الجماعية الفلكلورية :

في جوهرها هي عبارة عن حفل ذو طقوس خاصة، منها ما يستهدف طرد الأرواح أو استرضائها ويتم ذلك من خلال تقديم أضاحي وقرابين، ومنها ما يهدف إلى الترويح بشكله الشامل، بحيث تشكل الرقصات الفلكلورية في هاته الممارسات الطقسية الدعامة الأساسية مرفوقة بايقاعات ساخنة وسريعة.

ومن خلال تأدية الرقصات التي تعتبر تعبير ثقافي للجسد فهو تعبير عن حالة انفعالية الجسم من خلالها يتسامى من كل ما هو مدنس إلى ما هو مقدس.

تؤدي هذه الطقوس في شكل جماعي فرق أو جماعات أين يطغى عليها جو من الروحانيات، هذا الجو المفعم بالأهازيج والذي تصل بصمته إلى الآخر.

1- Denis Jeffrey, Jouissance du sacré (Religion et poste modernité), Armand Colin, Paris, 1998, p37.

3. الوظائف العلاجية للمارسات الطقسية الفلكلورية : من أهم نجد :

- التنفيس:

هو إطلاق سراح الانفعالات أو الرغبات المكبوتة بأي وسيلة من الوسائل، كإخراجها من العقل الباطن إلى العقل الظاهر، والتفكير فيها مرة أخرى وإرضائها بالفعل والعمل بمقتضاها، كأن يحصل الطفل على ما كان قد حرمه من لعب أو منزلة لدى أبيه أو أمه أو أستاذه أو يحصل شخص على ما كان يرغب فيه.

يورد بعض العلماء اعتراضا فيقولون فيما يخص فعالية العلاج من خلال التنفيس فيما إذا كان النجاح في العلاج يرجع في الواقع إلى التنفيس نفسه أو إلى استعاد الذكريات الماضية، ونقل الرغبات المكبوتة من العقل الباطن إلى العقل الظاهر".

إن الأمرين كثيرا ما يحدثان معا عند التنفيس حينئذ يعد التنفيس وسيلة للإسراع في العلاج،على أن التنفس قد ينفرد بالعلاج إذا كان السبب شعوريا يعلم به المريض ولكن يخفيه[1].

- التفريغ :

يرى المنحيان الفرويدي والإيثولوجي أن الحد من السلوك العدواني يتمثل في تفريغ الشحنات العدوانية ويعتقدون أصحاب هذا الرأي كذلك أن تفريغ ما بداخلهم من خلال نشاطات مثيرة وغير ضارة يمكن أن يحد من السلوك العدواني[2].

1- حامد عبد القادر، العلاج النفساني، دار رجياء الكتب العربية، 1947، ص152.
2- خزعل الماجدي، بخور الآلهة، مرجع سبق ذكره، ص353.

- التصريف:

هو تفريغ انفعالي يتخلص الشخص بواسطته من العاطفة المرتبطة بذكرى حدث صدمي، مما يحول دون تحوله أو بقائه مولدا للممرض وقد يتم التصريف الذي يمكن افتعاله خلال العلاج النفسي[1].

- التسامي :

هو القدرة على التصعيد على ضوء إيمان الحالة أو الفرد بهذا التسامي تحت إيقاع الموسيقى والغناء الديني، حيث تترهل تدريجيا الحواس الخمس (العالم الحسي) فيضعف البصر ويقل السمع ويتعطل اللمس والذوق، وفي المقابل يبدأ الجهاز العصبي الذاتي اللاإرادي بالنشاط والحيوية (تتلاشى القدرة الحسية للعصب الذاتي تماما وتنشط القدرة الحركية له تماما)، فتزداد إفرازات المعدة دون أن يشعر بها (بسبب تعطل إحساس العصب التائه المغذي للمعدةà، وتزداد ذبذبة الموجات الدماغية وكهربائيتها في المناطق الحركية في المناطق الحركية، في حين تنخفض في المناطق الحسية، ولذلك فعند توجيه أي ضربات عنيفة لهذا الشخص فإن النقل الحسي يكون عاجزا عن إشعاره بأي ألم (لأنه معطل) [2].

ونجد أن التسامي عند فرويد نوع من تعديل الهدف وتغيير الموضوع الذي يدخل فيه تقويمنا الاجتماعي (للمسألة) بعين الاعتبار أما ميلاني كلاين فتشير إلى أن التسامي نزعة نحو تعويض وإصلاح الموضوع (الطيب) الذي مزقته النزوات التدميرية إربًا في نفس ذلك الخط الفكري[3].

- التطهير :

1- جان لابلاش، وج.ب.بونتاليس، ترجمة مصطفى حجازي، معجم مصطلحات التحليل النفسي، ديوان المطبوعات، الجامعية، ط1، 1985، ص177-178

2- خزعل الماجدي،بخور الالهة. مرجع سبق ذكره، ص426.

3- جان لابلانش وج.ب.بونتاليسي، مرجع سبق ذكره، ص174-175.

هو التنقية وعند "أرسطو" هو تصفية انفعاليتي الشفقة والخوف اللذان تثيرهما التراجيديا، ويشير كذل إلى أن الموسيقى تمارس نوعا من التطهير بتأثيرها على الإنسان أي "يكون الناس جميعا في حالة تطهر وتستضيء نفوسهم وتبتهج"، وقد ورد مصطلح تطهير عند اليونان بمعاني عديدة[1]: ديني، جمالي، فسيولوجي، طبي، وهنا يتضح أن التطهير يحتوي على عناصر فسيولوجية (الراحة بعد توتر انفعالي كبير) وأخلاقية (الرفع من قدر مشاعر الإنسان).

ويرى أ.أوزينغان 1886 وشارل ادوار جينيريه جرى 1887 مؤسسي الفن الحديث في عشرينات القرن العشرين في فرنسا: أن المهمة الرئيسية للفن هي التطهير[2].

والتطهير هو اسم أطلق على أول منهج في العلاج النفسي وقد جاء من طقوس الإغريق المعتمدة في الشد والتلقين، بحيث يعقد المريض صلة مع مؤخرة عقله بواسطة التنويم أو بدونه، أي بوضع المريض في حالة التأمل والتفكير.

ويهدف العلاج بالتطهير إلى الاعتراف الكامل لا مجرد إقرار العقل بالوقائع بل تثبيت بواسطة القلب وإطلاق فعلي للمكبوت من الانفعالات، للاعترافات التي تكون إثر عملية التطهير أثر عظيم في نفسية الإنسان والشقاء الذي ينتج عنها غالبا ما يبعث على الدهشة[3].

1- م.روزنتال –ب- يوديني- الموسوعة الفلسفية، مرجع سبق ذكره، ص131.
2- م.روزنتال –ب يودين، نفس المرجع السابق ، ص131.
3- ك.غ. يونغ، علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1985، ص73.

4. أهم الطقوس العلاجية الجماعية :

- فرقة عيساوة :

يعود تأسيس هذه الفرقة إلى بني عيسى الذي كانت حياته مملوءة بالمعجزات والخوارق، فكان بهذا شخصية أسطورية، تميز كذلك بإلقاء الدروس الدينية في الزوايا.

وفرقة عيساوة كغيرها من الفرق الدينية العلاجية يملكون أذكارهم Dhikr الجماعية التي يمارسونها إما في وقت الحضرة اليومية أو السنوية أين يترأس الفرقة قائدهم المبرك.

أما في الاحتفالات التي لتهدف إلى العلاج فإنهم يرددون أذكارهم الجماعية.

يعتبر هذا الذكر بما يحتويه من مدائح بمثابة تمارين تعبرعن الانتماء للسلف والتشبث بالدين.

إذ تتكرر فيه أسماء الله الحسنى، وكذلك تذكر فيه آيات بيانات من الذكر الحكيم بصوت مرتفع. هذا الذكر الذي يمارس تحت إشراف الشيخ القائد[1].

- قناوة :

هي مستقاة من نفس التيار العيسوي، والتي نجدها عند الأمريكيين السود وإفريقيا الشمالية.

ويقال أن قناوة تجمع كل الذين أتوا من عبيد إفريقيا السود عند وصولهم إلى المغرب بالخصوص حوالي القرن XVIII (20) في فترة المبادلات التجارية بين إفريقيا السوداء إلى جنوب إفريقيا وإفريقيا البيضاء إلى شمال القارة الإفريقية.

طبع قناوة المغاربية يكمن في الخطاب الطقسي الذي يحتوي أولا على :

1- تلاوة القرآن

2- أغاني تتلو تاريخ أجدادهم، أصلهم.

1- Ali Aouattah, Ethnopsychiatrie Maghrébine, Ed l'Harmattan, 1993, Paris, p189-190.

فالأولى تعتمد على الثقافة الإسلامية والأماكن المقدسة والأولياء الصالحين (الشخصيات الأسطورية).

أما الثانية فيذكر فيها أسماء مبهمة وغريبة وهي قد تعود إلى أصلهم وفصلهم الأفروسوداني.

وما يكمن ملاحظته عند قناوة بداية القيام بالطقس خليط من الابتهالات الدينية والتي يتضرعون فيها إلى الله ويذكرون الله بأسمائه ويصلون على الرسول الحبيب، هذا من جهة والرقصة الفريدة من نوعها والرائعة من جهة أخرى والمميزة كذلك، والتي يرجى من خلال الرقصات التي تحويها من خلال التبرك بالأولياء الصالحين بإخراج الجن الذي يستحوذ على الفرد أو العميل إذ نجدهم يقومون بعرض بعض الحركات كلما قاموا باستحضار الجني المستحوذ على الفرد عن طريق استخدام الخناجر، العصى، بعض الروائح والبخور.

والطقس هذا يعتبر تقنية علاجية تشتهر بها مجموعة أو فرقة قناوة[1].

- الزار:

هو طقس جماعي نسوي أو حفل تطلق فيه البخور وتدق الدفوف وتهتز الأجسام وينادى على الجن أو العفريت ويطلب منه صراحة أن يترك جس المريضة لقاء هدايا خاصة.

قد لا يخرج الجن أو العفريت من أول مرة ولهذا قد يتكرر هذا "العلاج" مرات عديدة إلى أن يتم الشفاء.

والهدف أو الدافع لإقامة هذا الطقس هو العوامل النفسية التي كانت تعيشها المرأة كالاكتئاب والعصبية وبعض الاضطرابات العاطفية وأمراض عقلية ليست خطيرة، نظرا للكبت الذي تعيشه المرأة ي البيت،وعدم مشاركتها في الأنشطة الاجتماعية غالبا التي قد تنفس عنها بعض معاناتها.

1- Ali Aouattah, Ethnopsychiatrie Maghrébine, Op.cit, p191-192.

ومن هنا تلجأ النساء إلى الادعاء بأمراض قد تكون وهمية، وقد تكون حقيقية علها تحظى بنشاط فيه من الحركات والظواهر الغريبة ما يفرج كرها، ويفرغ شحنتها المكبوتة، فهن يلجأن إلى الزار لاعتقادهن بجدواه[1].

- النشرة:

إن كلمة نشرة تعنى أبعد المرض وهي طريقة علاجية تقوم في جماعة تستعمل لإبعاد أو خروج المرض وأحيان الشيء السيئ (الجن) وتتكون من عدة مراحل يتبعها تقديم شيء مقابل خروج الشيء السيئ وأهم ما يقدم غالبا هو أضحية (ذبح).

ويقال أن النشرة أصلها بربري بعدها جاء الأفارقة وأخذوها منهم، ومن ثمة المسلمون وهذه الطريقة تعتبر ذات مفعول، ولازالت موجودة في قسنطينة.

فهذا الطقس العلاجي التقليدي والمتمثل في النشرة ينظم جماعيا بحيث تكون لها وظيفتين : وظيفة علاجية، وأخرى وقائية.

فهي إذن ذات وظيفة علاجية ووقائية من الأمراض العقلية والنفسية وذلك من خلال محاولتها لتحكيم وضبط الضغوطات الاجتماعية.

إن طلب أو استدعاء هذه المجموعة العلاجية (النشرة) في حالة المرض يكون إما من طرف أفراد عائلة الحالة (المريض) أو من طرف الحالة نفسها[2].

تتم المعالجة في 06 أيام ويجب أن تكون في فصل الخريف وأن تكون يوم الأربعاء في الصباح، والمريض لا يأتي وحده إنما يجب أن يأتي برفقة أحد من عائلته، يقومون بداية بزيارة الوالي في منطقة قسنطينة بحيث يكون عدد الأولياء الذين تتم زيارتهم أربعة (04 أولياء).

والأولياء هنا بمثابة (المقدس) أو ما يعرف بالشخصية الأسطورية (Marabout) وهي شخصية مقدسة يزورها الناس، فقد تكون كما أشرنا سابقا ولي

1- د.بد المحسن صالح، الإنسان الحائر بين العلم والخرافة، نشر المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط2، 1998، ص86.

2- B.Bensmail, La psychiatrie aujourd'hui, Op.cit, p336-337.

صالح أو أحد الصالحين كأمثلة على ذلك: سيدي راشد، سيدي علي مخلوف في قسنطينة.

ويتحصل الفرد على هذه الشخصية الأسطورية عن طريق الوراثة غالبا، والشخصية الأسطورية على عكس شخصية الطالب والمعالج التقليدي على اعتبار أن المعالج التقليدي أو الطالب في مكانه على عكس الشخصية الأسطورية.

وهناك من الأفراد أو الناس من يتخذ الشخصية الأسطورية بمقابل العلاج النفسي (Psychothérapie) وأمثلة هذه الشخصيات الأسطورية التي لها مفعول العلاج النفسي نجد "سيدي خليفة في Téleghma وهي ذات مفعول جيد وفعال.

إن فعالية العلاج عن طريق الشخصية الأسطورية والذي يعادل وقد يتجاوز الأخصائي النفساني (Psychologie) يعود إلى كون الشخصية الأسطورية تتطلب من ثقافة المريض والتحاور معه.

من منطلق ثقافته فثمة إذن أرضية وأفكار من خلالها تبسط الشخصية الأسطورية نفوذها وهذا المفعول هو مفعول سحري، وكأمثلة للمقدسات كذلك القبة حيث يزورها أو يقبل عليها الناس، ففي الثقافة إذن يوجد شيء سحري يسمح أو يعطي مفعول علاجي نفسي وخاصة التداعي الحر Suggestion، أين تتشكل علاقة كبيرة وذات سيطرة على نفسية المريض[1].

عند زيارة الأولياء الأربعة (الشخصيات الأسطورية) يجب على عائلة المريض أن تذبح في كل مكان حمامة أو ديك أو تضع حلوة قرب الوالي الصالح (مقدس) وكأنها هدايا للجن.

تلبس المريضة أحسن حلة لها عند الزورة، ويصنع "أهل المريض حفلة لها وكأنها عروسة، وبعد الساعة الثانية عشر زوالا يقومون بالرقص في دار المريضة ويغنون ويدقون على الطبول.

وتكرر هذه العملية (الرقصة) 5 مرات بحث يكون الغناء أو الأناشيد التي يرددونها دينية وبين الحين والآخر يذكرون الوالي الصالح وهي تعرف "بالتوبة"

1- B.Bensmail, La psychiatrie aujourd'hui, Op.cit, p334-335.

بعدها المريضة تبدأ بالرقص ببطء ببطء... ثم تزيد في الريتم إلى أن تصل حد تزيد في الحركات والتحرك بقوة وعنف، تزيد فيه حركات الرقص قوة وعنفا حينما تسقط المريضة أو العميلة مغميا عليها في حال لا وعي، عندها يرشونها بماء الزهر ويشدونها حتى تستيقظ، وعند انتهاء المراسيم، أناس المريضة يستضيفون مجموعة الرقص (الطقس الفلكلوري).

تكرر هذه الطقوس لمدة 3-4 أيام، وفي هذه الفترة العلاجية يسهر أهل المريضة على رعايتها وحراستها.

وفي يوم الإثنين صباحا وهو آخر أيام النشرة، المريضة ترسل أو تعطي هدايا للفرقة أو المجموعة العلاجية الموسيقية السود، ثم تتقدم من الفرقة أو المجموعة الطقسية العلاجية الفلكلورية بحيث الفرقة تدق على الطبول والمريضة ترقص عشرة (10) رقصات، وهذه الإيقاعات التي تقوم بها الفرقة تشبه إيقاعات إفريقية، تكون هذه الإيقاعات سريعة والأصوات مرتفعة ورائحة البخور، والمريضة تكون في حالة وعي ولا وعي، وهي تصرخ وتضرب نفسها بحبلين (02) وعند رؤية هذه الحركات يفسرونه على أن الجن بدأ يقلق قبل أن يخرج، ثم تسقط المريضة بعد هذه الحركات العنيفة، فيجلس أهلها بجنبها حتى تستيقظ وعندها يقولون لها أن الجن قد خرج منها[1].

في نهاية الحفلة أو الطقس يجب على المريضة أن تغتسل وتغير ملابسها وهذه تعتبر وكأنها عملية تطهيرية، وترجع أو تندمج في أعمالها اليومية.

وإذا لوحظ أن الحالة (المريضة) أصبحت في حالة عادية من خلال برنامجها أو أعمالها اليومية فيفسرون هذا بأن الجن قد قبل ما قدموه إليه وخرج، تكون هذه الملاحظة أو المراقبة على فترة عام.

إما إذا رأوا أنها عادت إلى حالتها المرضية، فإنهم يعيدون الطقس وهكذا دواليك عام بعد عام.

1- B.Bensmail, La psychiatrie aujourd'hui, Op.cit, p336.

يعلق الأطباء النفسانيين على هذا الطقس، فيشيرون أن هذه الأعراض والتصرفات الصادرة من الجماعة العلاجية وكل من الحالة هي أعراض هستيرية جماعية لكن R.Bastide لاحظ أن هذه الطقوس لديها وظيفة علاجية ووقائية للمرضى العقليين وكذلك لضبط التوترات الاجتماعية.

فالطريقة العلاجية التقليدية والمتجسدة في "النشرة" الجماعية تعمل على إحداث نوعا من التكثيف للصراعات والحد منها في المجتمع.

وتعتبر ديناميكية الفعل العلاجي للنشرة معقدا لأن هذا الإنجاز يتزامن فيه العلاج الاجتماعي مع العلاج النفسي[1].

فهي طريقة علاجية اجتماعية ونفسية، وهي تعطي وتوفر للفرد مجموعة من الدفاعات الثقافية الأثنوسيكولوجية يحث تمكن العميل من مواجهة الصراعات التي تحيط به. والنشرة كما أسلفنا علاج اجتماعي ونفسي.

1- علاج اجتماعي (Socio-Thérapie): وذلك من خلال :

أ- التنظيم الطقسي الجماعي من طرف النسوة للنسوة، فهو حقل طقسي يقتصر على النسوة فقط، أين يستطيعون ترجمة وتفسير هذا التفاعل الذي بينهم وتعديل الوضعية أو المكانة السفلية التي تحتلها المرأة في المجتمع التقليدي والتي تعتبر المرأة فيها تابعة وخاضعة بحكم المجتمع الذكوري، فهي إذن هنا بمثابة تعويض لوضعية المرأة التي تتصف بالخضوع والنقص في المجتمع التقليدي.

ب- كونها جماعية تحوي جمع الأولياء والأقارب والأصدقاء أين تصبح محطة ينقطع فيها التوترات البينية أو الداخلية، بحيث يصبح شغلهم الشاغل هو المريضة بحيث يتجمعون حول هذه المصيبة التي أصابتهم، ضف إلى ذلك أنهم يحضروهم للطقس ينزهلون بتلك الرقصات والشطحات الجسمية في

1- B.Bensmail, La psychiatrie aujourd'hui, Op.cit, p337.

هذا العرض أين المجموعة تصنع مشهدا مثيرا تؤكد من خلاله ضرورة التماسك والالتحام والتضامن[1].

2- علاج نفسي :

من خلال الارتباط ومشاركة المحيط العائلي للمريض في هذا الطقس (النشرة) أو الجو المملوء بالحرارة العاطفية الإنسانية، يساعد هذا على طرد العدوانية أو تفريغها وإعادة التنظيم المفترض أن يكون بين هؤلاء (المريض، الأقارب، الأصدقاء، الفرقة أو الجماعة العلاجية)، وهذا يتم على عدة مستويات :

أ-العميل (الحالة) تكون محمية ومراقبة من طرف عائلتها وتتمتع بنوع من الحماية والرعاية بحيث يلبسونها أحسن حالة وتتزين ويتركونها وحدها بعيدا عن الإزعاج، ومن خلال هذه الإجراءات فهي تعتبر مركز هذا العلاج وهي المهمة كذلك في هذا الحفل.

ب- أجواء الموسيقى والرقص وحركات الجماعة العلاجية تجعل للمريضة (الحالة) شيء من الحرية أين يخلق عندها نوعا من التنفيس.

ج- الاحتفال الدوري المتمثل في النشرة هو شيء جيد يشبه في ذلك العبادة التي تحس من الاضطرابات النفسية.

فالنشرة عبارة عن تجربة حامية وتصحيحية وهي طريقة جيدة تسمع بحجز أو جمع الصراع وإعادة تنظيم الآليات الدفاعية بالتدريج للوصول إلى وضعية أحسن فأحسن، وذلك من خلال الجمع الذي حول المريضة من طرف أهلها وأصحابها وأصدقائها.

فالنشرة إذن هي سيكولوجية من خلال النشاط التدعيمي للمحيط من خلال الدفئ الإنساني، بحيث يصل العميل إلى تحرير شحنته الانفعالية على اعتبار أنه هو البطل في النشرة[2].

1- B.Bensmail, La psychiatrie aujourd'hui, Op.cit, p338.
2- B.Bensmail, La psychiatrie aujourd'hui, Op.cit, p338.

إذن في حالات الاضطرابات النفسية وخاصة التي يسيطر فيها القلق تعمل الثقافة من خلال طقوس النشرة بتوفير بعض التعليمات أو التسهيلات أين يستطيع الفرد العميل الخروج عن المألوف دون رقابة اجتماعية، يعتبر علاج النشرة علاجا مؤقتا[1].

فالعلاجات الجماعية التقليدية وخاصة التي تتجزر فروعها إلى الأصل الأفارقي هي علاجات جماعية متعددة متعددة الأقطاب كما يشير إلى ذلك محمد أسليم والمتشكلة من العناصر الآتية :

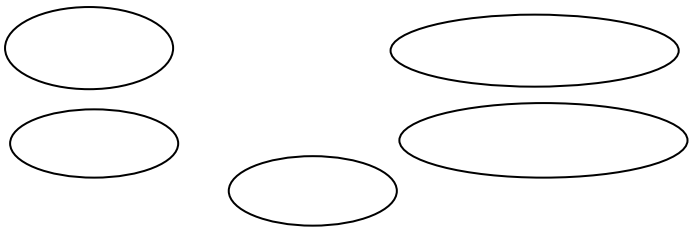

المطبب ومساعده، هذا الأخير الذي يجمع بين قوة الأعشاب (التداوي بالأعشاب) وقوة الكلمة، وهي التي تهمنا كونها علاج نفسي، فأغلب هاته العلاجات التي مرت بنا نجد أن لسلطان الكلمة الحظ الوافر في العلاج من خلال الاهازيج التي تردد و ما تحتويه من عبارات ذات دلالة و مدلول، فالكلمة تعني القوة وهي تحديدا القوة نفسها في سلطتها المحررة، كما في سلطتها المحطمة، فهي التي تشفي وترافق بل وتنشط أيضا مختلف مراحل الطقس العلاجي، ولذا فالكلمة تحرر. الكلمة تصلح ذات البين والكلمة تعيد إدماج الفرد في المجتمع وهي لا تختزل إلى مجرد أداة للتواصل فقط.

ولكي تكون اللغة العلاجية فعالة، يجب أن يتقاسمها مجموع أفراد القرية وهي لغة طقوسية، لغة مقدسة يخصبها ويتأثر بها هؤلاء، وأولئك لأنهم يغترفون فيها القيم والنماذج، كما يغترفون منها مثال القوة الذي يعتبر مثال المجموعات الإفريقية

1- Ibid, p338.

التقليدية، وفي كل لحظات دينامية العلاج تجعل هذه اللغة من نفسها حوارا، حوارا محملا بكل ثقل الثقافة، حوار بين المريض والمجتمع العلاجي[1].

1- www.aslim.org

5. أهم الممارسات العلاجية الجماعية بمنطقة توات:

- الركيبة :

هي رقصة شعبية فلكلورية جماعية ولها مسميات عدة وذلك حسب المنطقة (المحارزية، أحواش، الحيدوس، الصف، الماية).

تقوم بها النساء من خلالها يعبرن عن أفراحهن وخاصة مأساتهن بواسطة حركات رقصية تمثيلية تعبيرية (رمزية) وتمرح بها الراقصة لأنها تجد كل المجال لأجل التعبير عن ذاتها الداخلية المكبوتة لديها لأجل علاجها من متاعب الحياة اليومية التي تعيشها.

ومن خلال الرقصة نشاهد عرض مسرحي بواسطة الميمية تروى لنا حكايات من الواقع الذي يعيش فيه المجتمع.

بحيث تجتمع المجموعة الطقسية الفلكلورية النسوية في وسط الحلقة بآلاتهم الإيقاعية تحرر أبيات شعرية من المديح والمجموعة تردد الكلمات، تم تبدأ الزهوة يقمن النساء بالرقص بعض الأحيان فردي وأحيانا أخرى جماعي، ومن خلالها يظهرن الألبسة المختلفة والحلي والتجميل مرددين :

الله يا الله ما صلي وسلم عليك يا النبي مولاي محمد (تردد من طرف الجمع)
خليني بيني وبين سيدي ربي ولي قال شيء قاع تديه الريح
جيبلي عكازي نمشي للنبي ورجليا ما يقدوا يمشوا
اللهم صلـــى عليــه آتي وكل اليم
أبـو قبة لمشيـــــدا أمولاي سليم[1].

1- الحاج محمد بلغيث، إيقاعات شعبية، عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي، مديرية الثقافة لولاية أدرار، طبع الجاحظية، 2003، ص44.

- الحضرة:

تتم بواسطة جماعة حاملين البنادير والطبل في حلقة وهم جالسون أو واقفون في بعض الأحيان، يبدأ رئيس الفرقة (المداح) بالمدح من خلال كلمات دينية وتردد من طرف الجماعة في شكل مجموعة صوتية مع استعمال الإيقاع حتى تكون النغمة الموسيقية منسجمة مع الكلام وحركة المجموعة، أما بالنسبة للجالسين وخاصة عند النساء تكون فرقة خاصة بالإيقاع بحيث تصنع جو خاص وكأنها تعيش في عالم من الخيال ولا تدري بما يجري حولها، تكون حالة وعي ولا وعي عندها تقع المرأة (الراقصة) في حالة غيبوبة فيوتى لها بالبخور أو العطر أو الشيء الذي تحبه وهي في هذه الحالة حتى ترجع إلى وعيها.

والأبيات التي ترددها غالبا هي:

صلى الله عليك يا زين العمامة

من هو واحد يا زين العمامة واحد هو اله يا زين العمامة

من هما اثنين يا زين العمامة آدم وحواء يا زين العمامة

من هما ثلاثة يا زين العمامة أصحاب الروضة يا زين العمامة

إلى آخر القصيدة.

فالحضرة طقس فلكلوري خاص بالمديح الديني الذي يعبر عن حياة الأولياء الصالحين وشيوخ الزوايا بالخصوص (التوحيد، الرموز، الذكر...) ويستعمل هذا الطقس كطريقة علاجية نفسانية بواسطة الجدية والنوبة والرقص الجماعي، وهذا بجوار زاوية أو ضريح شيخ والي صالح[1].

1- الحاج محمد بلغيث، إيقاعات شعبية، عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي، مرجع سبق ذكره، ص27-28.

- طقس لعبيد في منطقة أدرار:

لعبيد هو رقصة جماعية ذات طابع إفريقي، يستعمل فيه دف خاص مصنوع من خشب النخيل ومغطى من الجهتين بجلد الجمل يسمى بالدندون ويضرب عليه بعود معقوف يدعى "تقنقة"، الصناجات (قطع حديدية مغروفة)، وهي عبارة عن ثنائيات يدق بعضها على الآخر[1].

تتشكل فرقة أو مجموعة لعبيد من مجموعة من الرجال الحاملين للصناجات، وطبل عند رئيس الفرقة يتم الإيقاع على الطبل أو الدف أولا ثم ترديد الكلمات التي تشتمل على المدح النبوي أو كلمات شعرية يأتي بعدها الإيقاع على الصناجات حتى تكون النغمة منسجمة وتأتي الحركات الجماعية المتنوعة عند إشارة رئيسها بإشارة (قفر رئيس الفرقة) [2] تنقسم هذه الرقصة إلى ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى: تبدأ عادة بالصلاة على النبي وتعالى فيها عبارات مثل: "صلوا على محمد صلوا عليه وسلم".

المرحلة الثانية: يتم ذكر الأولياء الصالحين والرسل وبعض العبارات الدينية وغيرها[3] مثل:

صلوا على محمد انبي صلينا
صلوا على محمد صلى وسلم عليه
لعفو يا مولانـا لعفوا يا مولانا
أرب أو يا محمد حبيب الله
لعزيز علينا يا ربي صلوا على محمد
توب علينا يا ربي أو لا إلاه إلا الله
رسول الله رسول الله أو يا رسول الله
أشهد أن محمد لا إلاه إلا الله

1- قدى عبد المجيد، صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولق العريقة، جامعة الجزائر، ط1، 2006، ص233.
2- الحاج محمد بلغيث، إيقاعات شعبية، عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي، مرجع سبق ذكره، ص16.
3- عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توان، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004، ص50.

المرحلة الثالثة :عادة تختتم هذه الرقصة بما يسمى "دنقه" وهي عبارة عن رقصة بأداء سريع دون استخدام الآلات، بالأرجل فقط والضرب على الأرض بواسطة الرجلين وتقال فيها بعض العبارات مثل :

يا رجال الله الصلاح وين كنتو حضروا

من زار وزار انزورا لمقام ما هناني

يا شيخ مولاي الطيب يا اللي ضامني

رسول الله وين كانت التوبة

من عندو المفتاح إيحل الباب

"نوحي وأبكي يا عيني"[1].

تستدعي فرقة لعبيد في مناسبات عدة وأهم التي تكون لها علاقات بالمشاكل التي يعايشها الإنسان على سبيل المثال: إذا ما حلت بالبلاد نازلة يطلب منهم (المجموعة الطقسية –لعبيد-) الدعاء والابتهال إلى الله حيث أن معظم المنتسبون إلى هذه الفرقة من ضعاف الحال مما يضفى على دعائهم الصدق والإخلاص[2].

ويستعمل كذلك هذا الطقس كعلاج لبعض الأشخاص المصابين بالأمراض النفسية والعصبية وحتى الجسمية أحيانا[3].

وفيما يخص الطقس من بعده العلاجي، الفرقة أو المجموعة تتكون من حوالي 20-40 فردا غالبا والمستوى العمري من سن الرشد إلى سن الشيخوخة، ينقسم أعضاء المجموعة إلى العبيد الأحرار والعبيد فقط، بحيث يكون رئيس المجموعة من العبيد الأحرار وهم الذين لهم حق البيع والشراء.

تقوم المجموعة بزيارة المريض (العميل) قصد التبرك والتخفيف عنهم بالدعاء والصلاة على النبي، وأحيانا أخرى يطلب أهل العميل من المجموعة المجيء حيث تأتي المجموعة ويقرؤون للعميل الفاتحة (يرفدو الفاتحة) ويدعون له بالشفاء، بعد القيام

1- عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، مرجع سبق ذكره، ص51.
2- قدي عبد المجيد، صفحات مشرفة من تاريخ مدينة أولف العريقة، مرجع سق ذكره، ص234.
3- الحاج محمد بلغيث، إيقاعات شعبية، عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي، مرجع سبق ذكره، ص17.

باستعراضات فلكلورية وأدعية مطولة في حلقة دائرية وأحيانا أخرى على صفين متوازيين.

ففي حالة كان العميل صغير السن (طفل) يقول كبير المجموعة بتقديمه إلى كل أعضاء المجموعة ليضع كل فرد منهم يده على العميل، ويدعو له بأدعية الشفاء بعدها يقوم كبير المجموعة بعد تلك الإيقاعات والرقصات بنزع العرق من جبهته بالسيكة (السيقة) وهي عبارة عن عصية خشبية صغيرة تتخذ من غصن النخيل بعد أن ييبس وتنقش نقشا إلى أن تصير إلى "سيقة" بعدها يقوم بتمرير هذه السيقة على جسد العميل وهو مستقبل القبلة.

تتم هذه العملية وهي مرفوقة بدعاء شيخ كبير المجموعة بالصحة والعافية والهناء وطول العمر والأعمال الصالحة بالتهليل والتكبير والمجموعة يرددون الأهازيج قائلين:

لعفو يا موالانا لعفو لعفو يا مولانا لعفو

يا مالانا ليك جيئنا قاصدين

يا مولانا لا تردنا خائبين

إضافة إلى هذه الطقوس هناك عملية التشريط للعميل (حجامة) على جبهته غالبا وأحيانا يقوم كبير المجموعة بالتبخير (أم الناس....)

وفي الأخير يقدم أهل العميل وليمة رمزية قدر المستطاع وبدون شروط للمجموعة (صدقة).

هذه الاخيرة(صدقة) بمثابة مأدبة جماعية ترمز قي الوقت معا إلى قربان يقدم للمقدس و إعادة التوازن للنظام الثقافي للجماعة[1].

عند إتمام الطقس يغير اسم العميل غالبا خاصة إذا كان صغير في السن من طرف رئيس الفرقة بعد الموافقة الجماعية.

أما الحالات التي تقبل على استعمال هذه الطريقة العلاجية طبعًا بعد أن طرقوا المصحات الحديثة هم: الحالات المحرومة من الذرية، الأفراد الذين لا تصلح لهم

1- www.aslim.org

الذرية، الأشخاص الذين يمرضون دائما، الأفراد الذين يواجهون مشكلات معينة سواء جسدية (الشكل، الكلام، الوقوف...) أو نفسية اضطرابات في الشخصية حيث يتم المثول للشفاء بالنية الصافية والاعتقاد القوي والتوسل والتوجه إلى الله عز وجل.

ويترتب بعد هذه العملية الطقسية بالنسبة للحالات التي مثلت للشفاء أو تحقق لها مطلبها (المبيوعين) أن يستدعوا المجموعة مرة أخرى حيث يحضر أهل العميل "تيس" ويذبح ويوزع على العبيد والأقارب ويصبح هؤلاء تابعين لهاته الفئة.

ومن كل عام يقوم أعضاء الفرقة أو المجموعة بجمع القمح والنقود الخاصة بالأطفال والأفراد المبيوعين للعبيد.

ومن هنا يمكن اعتبار طقس لعبيد أنه شعيرة يحمل طابع الرمزية التعبيرية ويتضمن عواطف ومشاعر من خلال الأفراد الذين يؤدونه وبشكل عام المجموعة العلاجية (مجموعة الطقس، عائلة العميل...) كما يشير إلى ذلك دوركايم (أنتروبولوجيا الرمزية، ص53-54) وحتى عملية البيع الرمزي وما تحتويه من طقوس هي عملية رمزية أو فعل رمزي يحمل معنى أو تصور لدى المجموعة الطقسية العلاجية، وهو ما يلمح إليه كليفورد جرتز في تعريفه للرمز.

6. تفسير الطقوس العلاجية :

إن الشخصية القاعدية عند الثقافيتين الأمريكيين هي تلك المؤسسات (التنظيم الاجتماعي، الجهاز التربوي، المحرمات، الطقوس، الدين) والتي تعطى لكل ثقافة شكلها وبصمتها المميزة، والتي تظهر ذلك الخليط من النماذج الفكرية والسلوكية المقبولة من الأفراد والتي إذا ما خرج عنها الفرد أو الجماعة تولد لهم اضطرابا.

"إن تناقل التعليمات لأفراد الجماعة تمكن كل ثقافة من تشكيل شخصيتها القاعدية الخاصة بها" كما يشير إلى ذلك KARDINER، فمصطلح "الشخصية القاعدية" يحدد الخطوط السيكولوجية المشتركة لأعضاء الجماعة السوسيولوجية من ناحية طريقة عيشهم، طريقة تصرفاتهم السلوكية، الميكانيزمات الخاصة بهم والتي تستخدم في حالة ضبط القلق وحل الصراعات الداخلية والشخصية القاعدية في الثقافة المغاربية تضم:

1- الإسلام.

2- الانتماء الى الجماعة الاسلامية :اين ينمو الآنا الجماعي للفرد و الذي يكتسبه منذ الطفولة من خلال الأسرة، المدارس القرآنية، العمل، الطقوس... والانتماء إلى الجماعة الإسلامية ويصبح صلبا في مرحلة النضج مكون: الانا الأعلى الديني والاجتماعي[1].

إن هاته الوظائف: التنفيس، التطهير، التفريغ، التسامي وخاصة التنفيس والتفريغ لا تقتصر على المجموعة التي تقوم بالطقس فحسب، بل نجد عنده بصمة لدى الشخص الذي يطلب العلاج ولدى المتفرج أو الجمع الذي هو بمحازاة المجموعة الطقسية وهو ما يعرف عند دوركايم بالعدوى الانفعالية والتي تتجسد في نظرية التقارب (Shellow and Roemer 1956) على أن سلوك الجموع ينشأ عن التقاء عدد من الناس ممن يتشابهون في الحاجات والأهداف والدوافع وما يحبون وما يكرهون، فحسب دوركايم فإن العدوى الانفعالية المنضبطة يمكن أن تؤدي وظيفة نفسية واجتماعية مفيدة تتيح للجمهور التنفيس عن انفعالاتها وتؤثراتها مما لا تستطيع التعبير

1- B.Bensmail, La psychiatrie aujourd'hui, Op.cit, p222.

عنه في الظروف العادية وتستثير المشاعر المعززة لتماسك الجماعة، فالتجمعات المنظمة بأشكالها المتنوعة كما هو الحال في المراسيم الدينية قد تتيح المجال لسلوك جماعي ينسجم مع البنية الاجتماعية القائمة ويعززها[1].

وهذا كله إذا أردنا الحديث عنه فإنه يعود بنا إلى الشخصية القاعدية (Personnalité de base).

من هذا يمكن القول أن الطقوس العلاجية الجماعية ما هي إلا عادات وتقاليد جماعة معينة من منطلق معتقد معين وبمعنى أصح المقدس، فهي إذن كما يشير نور الدين طوالبي في كتابه أن الطقوس العلاجية الجماعية عودة متجددة للمقدس باعتباره مرحلة متميزة من التعزيم الجماعي ففيه يتخلص الجميع من المدنسات الناشئة عن الاجتياف اليومي للنماذج الغربية[2].

1- روبرت مكلفين، رتشارد عروس، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، ترجمة ياسمين حداد، موقف الحمداني، فارس حلمي، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، 2002، الأردن، ص106-107.
2- نور الدين طوالي، الدين ،الطقوس، التغيرات، مرجع سبق ذكره، ص286.

تمهيد :

إن الحصول على معلومات و بيانات لغرض الوقوف على طبيعة المشكل قيد الدراسة بعد تحليلها يستلزم تصميم خطة من طرف الباحث لتحصيل الكم المعلوماتي اللازم لبحثه.[1]

وهكذا كان لازما علينا اتخاذ إجراءات من خلال وسائل بحثية ملائمة والمتمثلة في الدراسة الاستطلاعية ومن ثمة الدراسة الأساسية.

1- أ. د. ر جاء محمود أبو علام- مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية- دار النشر للجامعات مصر ط 3 –ص4-

I-الدراسة الإستطلاعيــة:

I-1- الهدف من الدراسة:

أجريت الدراسة بعد جملة من المقابلات والإستقصاءات مع بعض الأفراد وثلة من شخصيات المنطقة عن الظاهرة موضوع البحث –(طقس لعبيد العلاجي)-بهدف:

- التعرف على المنطقة، الممارسة للطقس بشكل جلي عن قرب وكثب مما أسهم في تحديد وجهتي المكانية.
- الحصول على كم المعلومات عن الطقس العلاجي(لعبيد).
- تمهيد الطريق لدراسة متقنة ومنظمة تشمل الأقاليم الأربعة من منطقة أدرار وهي:تيديكلت-توات الوسطى، توات، قورارة.
- معرفة تصورات الأفراد حول الظاهرة موضوع البحث (طقس لعبيد العلاجي).
- تصميم وبناء أداة بحث والمتمثلة في الإستمارة.
- التمهيد لدراسة أساسية من خلال إنتقاء حالات عيادية.

I-2- مجال الدراسة الإستطلاعية:

الدراسة تمت بداية ببلدية أقبلي دائرة آولف التابعة لأقليم تيديكلت ولاية أدرار خلال شهر ماي 2006. حيث تقصيت عن الظاهرة موضوع البحث من قبل أهلها القائمين عليها من خلال الحوار مع أحد أعضاء فرقة أو مجموعة دراني*(لعبيد) حيث تشكلت لدي فكرة عن كيفية القيام بالطقس وخاصة العلاجي منه وأهم استعمالاته أي الحالات المقبلة عليه وكيفية تنظيمه وأهم الطقوس والأساطير المحاكات عن الطقس والمناسبات التي يستعمل فيها (طقس لعبيد) وهنا كنت قد ركزت على المرض والوقاية والشفاء وكيفية القيام بالطقس العلاجي بالتفصيل والأهازيج أو المدائح التي تردد فيه.

*-إسم طقس لعبيد في إقليم تيديكلت ولاية أدرار-دائرة آولف-

وقد قدرت مدة التحاور أو المقابلة معهما حوالي ساعة حيث قال: أن طقس لعبيد في شكله المعلن يتم تنظيمه في ثلاثة أيام لإعلام الناس بمجيء هذه الفرقة حيث اليوم الأول ويسمى البريح.

اليوم الثاني يقومون بالطقس (يرقصون ويمدحون ويجمعون الزرع، الشعير، والدقيق،....) عندئذ، من كان له مريض أو حاجة يتقدم إلى المجموعة طالبا منهم أن يرفدوا ليه الفاتحة ويكون هذا الطالب كما يقول « داير نيتو-الناس اللي قاصدين النية».

أما في حالة المرض الخارج عن هذا التنظيم السنوي فإن أهل المريض يقومون باستدعاء المجموعة الطقسية العلاجية لتقوم بمراسيمها أهمها: التشراط (الحجامة)- قراءة الفاتحة والدعاء –تغيير الاسم،....الخ. يقومون كذلك بالدوران حول البلدة بنية دفع البلاء.

اليوم الثالث: يتتبعون فيه البيوت ويتفقدون أولادهم الذين أصبحوا ينتسبون إليهم مجازا (مبيوعين) لمصيبة أصابتهم (كالمرض ،عدم صلاح الذرية، أولاد الإجهاض المتكرر، الإضطراب في الشخصية.....) فهم يتفقدون أولادهم من خلال أخذ من كل بيت نوعا من المؤونة لإقامة السلكة وهاته الأخيرة عبارة عن مأدبة عشاء يتم فيها بداية قراءة القرآن كاملا وهذه القراءة الشاملة عبارة عن سلكة أو يمكن القول المرور من سورة إلى أخرى بدءًا بفاتحة الكتاب ثم البقرة وهكذا دواليك بعد هذه القراءة يبدؤون في الدعاء والتضرع لله عز وجل بشفاء بعض المرضى، ورفع البلاء عن البلاد.....

إضافة إلى هذا كنا قد أجرينا مقابلة مع أحد أعضاء فرقة لعبيد العلاجية بزاوية الرقاني بلدية رقان المسماة فرقة "الشيخ بوبو" في شهر جانفي 2007 عن كيفية أجراء هذا الطقس في هذه البلدة فأجاب:

إنه عندما يكون أحد مريض أي كان هذا المرض بحيث تمكن منه فيطلب المريض زيارة أهل الديوان هو أو أهله وعندما تأتي الفرقة (المجموعة) يقومون أولا بقراءة فاتحة الكتاب بحيث يستفتح لهم أحد من نسب الوالي الصالح "مولاي عبد الله الرقاني" للتبرك به.

بعدها الطقس الفلكلوري الذي يبدأ بالدق على الدندون و الآلات الحديدية يتبعها التكبير والتهليل والصلاة على "النبي المصطفى" والمدائح الدينية في شكل حلقة دائرية يتقدمهم شيخ الفرقة أو المجموعة والمريض بجنبه مستقبل القبلة وهنا تجدر الإشارة إلى سن أو عمر العميل، فإذا كان طفلا صغيرا فإن شيخ المجموعة يقوم بحمله عسى الله يبارك في عمره ويصلح من يأتي من بعده. وهكذا يتم تدويره على أعضاء المجموعة الواحد تلو الأخر وهم يدعون له.

أما إذا كان العميل كبيرا فأنه يرافق الشيخ في وسط الحلقة. أما إذا كان العميل امرأة فإنها تبقى خارج مجال الفرقة، فبعد أن "يحماو" على حد قوله أي تسخن عضلاتهم إثر هاته الحركات إلى درجة تصيب العرق عندما يقومون بتمرير الآلات الحديدية على جباههم ومن ثمة تمررها على جسد العميل. تتم هذه العملية أي مسح العرق من طرف الشيخ الكبير وهو يدعو للمريض ويقرأ عليه القرآن يتبعه التبرك بالولي الصالح "مولاي عبد الله الرقاني" في نهاية الطقس يغير اسم العميل، عندها يقولون «مبيوع للعبيد» وهذه العملية يسمونها «البيوع» أي أن العميل إنتسب للعبيد أي أنه يوهب لمجموعة لعبيد مجازا أو رمزيا. كل هذا مرفوق بالأدعية لشفاء المريض.

هذا على وجه العموم، أما من حيث التفاصيل والدقة فيشير إلى أن الطقس يجرى على حسب الشخص الذي يحتاجه وذلك حسب الحالات التي تتطلب الطقس العلاجي كحالات: العقم، المرض، أمنية أو قصد يود الفرد تحقيقه، او مشكل من مشاكل العصر يعاني منها الشخص... وبقدر الله تحصل الاستجابة بحيث تكون المجموعة العلاجية سببا في ذلك، والطقس عادي لا تنتابه أية شبهات كالسحر والشعوذة، بحيث تكون الفرقة في شكل حلقة يدخل الشخص وسطها إذا كان قادرا على

الحراك وفي حالة عدم قدرته على الحراك فإن المجموعة هي التي تقبل عليه، وهنا شيخ الفرقة يقوم بنزع العرق للمريض بسيقة خاصة وفي حالة عدم توفرها أو تأخر جلبها فإنه يؤتي بأي سيقة أخرى شريطة أن تكون أقدم سيقة وذلك لأن السيقة القديمة تداولت على أشخاص قدامى في المجموعة الطقسية وتداركت تلك السيقة بركتهم وإن لم تتداركهم جميعا فعلى الأقل 5 أو 10 منهم وهؤلاء القدامى الذين كانوا لا بأس بهم وأصحاب نية ويستبرك بهذه السيقة على أساس أنها قديمة مرت على العديد من أصحاب المجموعة العلاجية (كبار السن، شيوخ المجموعة الطقسية، أفراد رحلوا إلى رحمة الله، دخلت هذه السيقة إلى عدة روضات، حلت عدة أشخاص)، وكما يقول على لسانه: اعطات وجابت.

يدخل الشخص سواء كان: رضيع، صغير، كبير، ويقوم الشيخ عندها بتمرير السيقة على جبهته أولا وذلك لاعتقاد أن تمرير السيقة بداية بالشيخ لتحمل رجال المجموعة العلاجية بأسى هذا الفرد، أي يتوزع عليهم وهذا إذا كان مكتوب له عند الله الشفاء تحت أيدي المجموعة الطقسية العلاجية، فهم يثقلون على أنفسهم من خلال تحمل بأس المريض وكذلك للأمانة، وتمرير السيقة بداية على الشيخ نفسه فهذا لإطمئنان العميل بأن السيقة إن لم تنفعه فلن تضره، ومنذ بداية العملية دائما جبهة الشيخ هي الموضع الذي يرافق جسم المريض من خلال عملية تمرير السيقة على جبهة الشيخ ومن ثمة جسم (الحالة) وذلك ابتداءا من مؤخرة رأس الحالة إلى الرقبة ثم إعادة وضع السيقة على جبهته (الشيخ) وتمريرها مرة أخرى على الحالة من منبة الشعر من الجهة اليمنى مرورا بالأطراف اليمينية إلى الأرجل ثم مسح السيقة على جبهته مرة أخرى (الشيخ) وتمريرها على الجهة المقابلة أي اليسرى ومن ثمة يمرر السيقة على جبهته ويقوم بتمريرها على جسم المريض من الجهة الأمامية أي من الصدر إلى القدمين، وبهذه العملية يكون الشيخ قد شمل جميع جسم المريض تقريبا، وخلال هذه العملية (المسح) هناك دعاء خاص يقوله الشيخ في الوقت نفسه المجموعة الطقسية تردد أدعيتها من خلال الأهازيج (الصلاة على النبي، الدعاء، التكبير، التهليل...).

وكأمثلة على ذلك: صلينا يا الله، صلينا على محمد وذلك على مدى فترة من الزمن وذلك على حسب الحالة، ففي حالة كان المريض طفلا صغيرا فإنه لا يتطلب وقتا طويلا، أما إذا كان طفلا رضيعا فإنه في الغالب لا يتحمل السيقة حسب اعتقادهم قد يكون بأس الشيخ أو أفراد المجموعة العلاجية أقوى من بأس الطفل وبالتالي قد يزيد في ألامه ومشكلته، وعندها فإن الشيخ يقوم بدهن الرضيع دهنة واحدة بواسطة السيقة على رأس وجبهة الرضيع بعد أن مررها على جبهته (الشيخ) وبعدها يبقى السيقة في يده ويتم العملية بسبحته (الشيخ) حيث أن هذه السبحة تكون مختارة إذ يملك الشيخ 3 سبحات اثنان دائما ترافقه والأخرى يحتفظ بها وتبقى قضية اختيار السبحة المستعملة في العملية على حسب الشيخ والشخص الذي طلب العملية العلاجية، ففي حالة كان الشخص من المحبين لطقس دراني (لعبيد) ويقوم بأهله ويعطيهم حقهم وصاحب نية ولا بأس به في معاملته فإذا كان كذلك فإن الشيخ يحمل السبحتين والسيقة وفي الحالة العادية يحمل سبحة واحدة وسيقة وأحيانا قد لا يخرج السيقة إلا في الزيارة الدورية لزيارة رجال البلاد أو الدورة المعتادة سنويا (الدخول) حيث يتم فيها ترقب المبيوعين بالوقوف عند باب كل عائلة فيها فرد مبيوع للعبيد لآخذ الصدقة (صدقته) والتي قد تتمثل في الزرع، الشعير، الدقيق... فمثلا إذا قام أهل المبيوع بتقديم كمية من الزرع في إناء (طبق أو طبيقة) تقوم المجموعة بإرجاع الإناء لأهله وفيه قليل من الزرع للمجموعة الطقسية إذا كان هؤلاء من المحبين لأهل المجموعة الطقسية، فإن شيخ المجموعة يقوم بغرف السيقة في الزرع الذي كانت عائلة الحالة أعطته للمجموعة ويملأها ويرجعها في الإناء فيقوم أهل الحالة بإرجاع ذلك الشيء القليل من الزرع على مؤنتهم من الزرع وذلك تبركا بأهل قرقابو (لعبيد)، وفي حالات أخرى يعطى البخور بمعنى تقبل المجموعة الطقسية على بيت المريض (مبيوع) وتأخذ البخور من أهل الحالة وهو بخور يستعمل في الأعراس له رائحة جد طيبة يدخل في تركيبه مواد غالية الثمن كالمسلك (المسكة)، إذ تقوم المجموعة بعملية التحجاب على هذا البخور بقراءة بعض الأذكار والأدعية والصلاة على النبي وبعض السور والآيات القرآنية ثم

يتم إعطاءه إلى أهل الحالة على اعتبار أنه أصبح ملكا للمجموعة بعد عملية التحجاب عندها يطلبون من أهل الحالة تبخير القليل منه والباقي يحتفظون به (أهل الحالة).

عند انتهاء عملية مسح العرق تقوم المجموعة الطقسية وأهل الحالة برفد الفاتحة (قراءة الفاتحة) ويدعون المولى عز وجل أن يشفيه أو يكمل له نيته التي جاء بها أو من أجلها وحسب النية التي قصد من ورائها شيء معين عند تشكيل الحلقة فإن الجميع يصلون على النبي بالإضافة إلى كلام الشيخ والمتمثل في الدعاء للشخص الذي أمامه (الحالة)، وعملية نزع العرق هي عملية لا تخلو من المخاطر وهذا يعود للحالة التي يكون فيها الشخص (الشيخ أو الحالة) بحيث أنه قد يكون بأس إحدى الفردين أقوى من الآخر فعند نزع العرق ودهن السيقة على الجبهة وهي متعرقة (الشيخ) ولمس الحالة (المريض) بالسيقة فقد تكون الحالة حاملة للمرض أو تنتابها نجاسة عن غير دراية فهنا قد يحدث ضرر يعود على الشيخ أو أحد أفراد المجموعة أي وكأنها نزع البلاء والبأس من الحالة واستقباله من طرف الشيخ ولذلك يكون السيق بالشيخ في تمرير السيقة على جبهته لاطمئنان الحالة وذلك بعد كل تمريرة على أعضاء جسم المريض.

إن تواجد المجموعة الطقسية في حلقة بحوالي 15-20-30 فردا يصلون على النبي ويذكرون المولى عز وجل فمن المستحيل في ظنهم أن يبخل الله عليهم بالاستجابة فهي كأنها عملية انقطاع عن الدنيوي والتسامي إلى العالم المقدس من خلال مضمون الكلام والشخص في وسطهم، وحيث أن العدد كبير نوعا ما وجميعهم يصلون على النبي وكل واحد يكرر العبارة هاته أكثر من عشر مرات وهكذا كل فرد بحيث أنه إذا كانت عشرة مرات تكرر بالنسبة لكل فرد والمجموعة مكونة من عدد لا بأس به فالله عز وجل لا يبخل الاستجابة لهم. أي أن دعواهم تتصادف مع وقت استجابة الدعاء فيستجاب لهم، وقد لا يستجاب لدعاء الجماعة في حينه لأنهم ينقصهم شخص هو السر الغائب، وهنا قد يقبل ذلك الشخص الحامل للسر وعند سماعه لأهازيج المجموعة ينتابه الفضول فيدخل لبيت الحالة للاستفسار، فإذا به يجد المجموعة الطقسية تصلي على النبي وتدعو فينضم إليهم ويكون بذلك صاحب السر الذي

بحضوره قد يستجيب المولى عز وجل لدعائهم، فهو الذي كان ينقص المجموعة الطقسية لاكتمال أمنية (الحالة) أو حاجتها.

وعن الجوانب المادية فيشار أنها على حسب الاستطاعة والقدرة وحسب نية الحالة فليس هناك شرط فقد لا تأخذ الجماعة أي مقابل وقد تأخذ وهذا على حسب أهل الحالة وعطائهم ولكن حسب المعطى تكون زيادة تفعيل نشاط الطقس بمعنى أنه قد تحدد المجموعة 10 دقائق للحالة وتصبح نصف ساعة، ونفس الشيء حتى بالنسبة للكلمات، فأصل الصلاة على النبي وعندما يكون معطى لا بأس به فإنهم يضيفون عبارة "الجود منك ياربي لعفو" بحيث تكرر العديد من المرات وعلى اعتبار أن عدد المجموعة يفوق 15 فردا، فإن كل واحد منهم يكرر هذه العبارة بحيث في الدقيقة الواحدة يكون قد كررها أكثر من 10 مرات، وهو الحال نفسه بالنسبة للأفراد الآخرين، فيكون تحصيل عدد هائل من الدعاء بالإضافة إلى ترديد المتفرجين، ومن هذا المنطلق وحسب اعتقادهم هل المولى عز وجل يبخل بالاستجابة لدعائهم؟ فالمفترض أن يكون من هؤلاء ولو واحد صاحب نية صادقة يستجيب الله له، وبالاستجابة له تقضى حاجة الحالة التي طلبت المجموعة الطقسية.

وهكذا فقد استغرقت الدراسة الإستطلاعية مجال زمني ممتدا ما بين جانفي، فيفري، مارس 2007 وقبله شهر ماي 2006، في فضاء مكاني على مستوى "ولاية أدرار" من خلال تغطية إلى حد ما للأقاليم الأربعة التابعة للمنطقة ألا وهي: تيديكلت، توات الوسطى، توات، قورارة.

I-3- *الوسائل المستعملة في الدراسة الإستطلاعية:*

نظرًا لحداثة دراسة الموضوع وخاصة التطرق للظاهرة موضوع البحث (طقس لعبيد العلاجي) والصعوبات التي قد تواجه من خلال اتساع مساحة منطقة الدراسة (أدرار) وتمركز الظاهرة في أماكن معينة دون غيرها أو بمعنى أصح قلتها. وأحيانا إضفاء نوع من السرية والكتمان عليها عند حدوثها والذي قد يكون طلبا من

أهل العميل، لكن هذا نادرا. ضف إلى ذلك قلة اطلاعنا ومعرفتنا بالطقوس العلاجية الجماعية الممارسة بالمنطقة إلا على وجه العموم، كل هذا جعل اختيار الأدوات الملائمة ليس بالهين وخاصة الأدوات المادية منها.

وللتحقق من صحة الفرضيات وجميع المعلومات الكافية لمعالجة موضوع الدراسة ومن جهة تحقيق أهداف البحث ثم استعمال عدة تقنيات هاهنا:

- الملاحظة: ملاحظة الطقس من بعده الفلكلوري الترويحي لا العلاجي.
- الإستقصاء.
- المقابلة.
- الإستمارة.
- وسائل مادية والمتمثلة في مسجل الصوت.

على اعتبار أنه من أهم الأهداف المسطرة في الدراسة الإستطلاعية هو تصميم أو بناء أداة بحثية لرصد تصورات أفراد المنطقة عن الظاهرة موضوع البحث والتي تمثلت في الإستمارة.

خطوات بناء الإستمارة:

- الإستعانة بالمعلومات المستخلصة من خلال الإستقصاءات والمقابلات مع بعض شخصيات المنطقة.
- الإستعانة ببعض أطروحات الماجستير ومذكرات ليسانس.

- بورشمة الهادي الوعدة: التمثيل والممارسة (دراسة أنتروبولوجية بمنطقة أولاد أنهار وعدة سيدي يحي بن صفية)-اشراف د:العايدي عبد الكريم 2005-2006
- قادة بورزق-ديناميكية الإعتقاد بين العلاج التقليدي والطب الحديث-إشراف أ. مكي محمد –جامعة وهران السانيا 1989/1988.

- أرجيلوس فتيحة-الممارسات العلاجية التقليدية بمنطقة توات-إشراف أ.جرادي العربي –جامعة وهران السانيا 1995/1994.

- بعض الكتب وأهمها:
  - نور الدين طوالبي الدين والطقوس والتغيرات.
  - نور الدين طوالبي .إشكالية المقدس.
  - عاطف وصفي الأنتربولوجيا الثقافية.

وهكذا تم إنجاز الإستمارة لكن بعد الإنتهاء من إنجاز إستمارة الدراسة الإستطلاعية عن الظاهرة موضوع البحث (طقس لعبيد العلاجي) قمت بعرضها على الأستاذة مساعدة المشرف: أ.خديجة كيداني.

ومن جملة الملاحظات الواردة التي أشارت إليها الأستاذة، أشير إلى ما يلي:

- إعادة الصياغة اللغوية لبعض الفقرات.
- توضيح العبارات لتكون سهلة الإستيعاب لأفراد العينة.
- إضافة بعض البنود أو الفقرات التي لها علاقة بإشكالية الدراسة.

بعدها تمت مراجعة الإستمارة الأولية إنطلاقا من ملاحظات الأستاذة حيث رأيت أنها تزيد من عمق الأسئلة المطروحة على أفراد العينة، فكانت الإستمارة النهائية والمتضمنة 25 سؤالا مرقمة من 01 إلى 25، هذه الأسئلة أو البنود والتي تمحورت حول ثلاثة أبعاد هي:

1. أسئلة تتعلق بالطقس وتابعاته.
2. أسئلة تتعلق بإعتقاد ووجهة نظر المستجوب حول الطقس.
3. أسئلة تتعلق بالمجتمع المحلي والطقس وتنشأة الأسرية وثقافة المجتمع حول الطقس.

هاته البنود أتت على شكل:

1. أسئلة مغلقة: 4- 5- 7- 9-11-21.
2. أسئلة نصف مفتوحة:2- 3- 8-12- 15- 19- 20- 22.
3. أسئلة مفتوحة:1- 6- 10- 13- 14- 16- 17- 18- 23- 24- 25.

بعد تصميم الإستمارة ثم توزيعها على العينة.

العينة ومواصفاتها:

تم إختيار العينة بشكل شبه انتقائي بشرط أن يكون الفرد من منطقة الدراسة الممارسة للطقس لعبيد العلاجي وله فكرة عن الظاهرة موضوع البحث بحيث قدر أفراد العينة الذين وزعت عليهم الإستمارة بداية 170 فردا. لكن في أخر المطاف تم تحصيل 150 إستمارة فقط موزعة على الأقاليم الأربعة (تيديكلت، توات الوسطى، توات، قرارة) وهكذا إتخذنا 150كعينة نهائية لبحثنا مكونة من 71 فردا ذكورا و79 فردا إناث تتراوح أعمارهم ما بين 19-83 سنة.

لنلج في الأخير بعد تطبيق الإستمارة على العينة إلى نتائج الدراسة.

I-4- نتائج الدراسة الإستطلاعيـة:

جدول 1: يمثل توزيع العينة حسب الجنس.

الجنس	العدد	النسبة المؤية %
ذكور	17	47.33
إناث	97	52.66
المجموع	150	%99.99

من خلال الجدول نلاحظ أن الإناث في العينة يمثلون العدد الأكبر بنسبة 52.66% مقارنة بالذكور بنسبة 47.33%، وهذا يعود إلى أن معرفة الإناث للظاهرة موضوع البحث أكثر منه عند الذكور أي أن الإناث لديهم أكبر قدر من الثقافة عن المجتمع المحلي موضوع الدراسة، وهذا ما أكد عليه أو أشار إليه كل من نوردين طوالبي وبوسبسي في كتاباته حيث نجد نوردين طوالبي يشير إلى أن المرأة هي التي تحافظ على الطقوس، حيث يذكر غالبا دور الأم التي تنصح ولدها عادة مقترحة عليه اللجوء إلى تقديم أضحية أو القيام بأي طقس تقليدي على اعتبار أن هناك حقل لم يتمكن من سبر غوره ولا يمكن التطرق إليه إلا من قبل امرأة جزائرية وما المرأة الصحراوية إلا جزءا من هذا الكل[1].

وبالنسبة لبوسبسي في كتابه فيشير إلى أنه يوجد تنظيم عائلي في الوسط التقليدي والذي نلتمس من خلاله اتصال جماعي بين الأفراد والذي يبرهن على مكانة وهيمنة الأنا الجماعي، وكذلك دور المرأة في رحاب الجماعة، وخاصة دورها التربوي لتحديد النموذج التربوي للطفل والذي يعتمد أولا على المبادئ الإسلامية وما تحتويه من قيم وعادات وأخلاق وثانيا على الانتماء إلى الجماعة[2].

جدول 2: يمثل توزيع العينة حسب المستوى التعليمي

المستوى	أمي	إبتدائي	متوسط	ثانوي	جامعي	المجموع
العدد	17	09	29	40	55	150
النسبةالمئوية	11.33	06	19.33	26.66	36.66	%99.98

من خلال الجدول يمكن القول أن نسبة الثانويين والجامعيين كانت أكبر وهذا راجع إلى أن الإتصال مع هذه الفئة كان أكبر نظرا لتواجدها في أماكن جامعة ومحددة يسهل تطبيق الإستمارة عليها.

1- نور الدين طوالبي، إشكالية المقدس،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988، ص9.

2- M.Boucebci, Psychiatrie société et développement, S.N.Edn Médecine, Alger, ed 2èr, 1978, p24.

وما يلاحظ كذلك أن أغلبية أقراد العينة أناس ذوي مستوى ثقافي وتعليمي له وزنه في المجتمع المحلي.

جدول 3 : يمثل توزيع العينة حسب أقاليم أدرار.

الإقليم	تيديكلت	توات الوسطى	توات	قورارة	المجموع
الأفراد	49	39	42	20	150
النسبة المئوية	32.66	26	28	13.33	%99.99

الواضح للعيان من خلال الجدول أن نسبة أفراد العينة التابعين لإقليم تيديكلت هم الأكثر نسبة 23.66% وهذا راجع لكون الباحثة من هذا الإقليم حيث كان الإتصال سهل دون أية عراقيل وخاصة المادية منها.أما نسبة أفراد العينة من إقليم قورارة بالمقارنة بالأقاليم الأخرى فهي قليلة بنسبة تقدر بـ13.33% وهذا يعود لكون المنطقة هاته بعيدة نوعا ما عن مقر الباحثة بحالي 470 كلم مما أدى إلى وجود هذا التمايز في العدد، ولا يعود هذا إلى أي اعتبارات أخرى تتعلق بموضوع الدراسة.

جدول 4: يمثل توزيع العينة حسب المستوى الإقتصادي:

المستوى	ضعيف جدا	ضعيف	متوسط	مرتفع	مرتفع جدا	المجموع
الأفراد	02	12	134	02	/	150
النسبة المئوية	1.33	08	89.33	1.33	/	%99.99

أغلبية أفراد العينة ذوي مستوى إقتصادي متوسط بنسبة تقدر بـ89.33% وهذا الشيء الذي كان له دلالة من خلال إستقراء إجابات العينة على أن الظاهرة موضوع البحث لا تستدعي كلفة مادية تقريبا مما قد يجعل لجوء بعض أفراد المجتمع المحلي وإعتبارها محطة من المحطات الغير مكلفة للعلاج.

جدول 5: يمثل توزيع العينة حسب وجود طقوس مصاحبة لطقس لعبيد العلاجي:

رقم السؤال	4		
الإجابة	**نعم**	**لا**	**المجموع**
عدد الأفراد	71	57	128
النسبة المئوية	47.33	38	%85.33

أجابت نسبة 47.33% من العينة بـ"نعم" و38%بـ "لا"حيث الفئة التي أجابت بـ "نعم" أشارت إلى أن هاته الطقوس تتجسد في:

الرقص والقرع على الدندون والآلات الحديدية (الصنهاجات)، الصلاة على "النبي المصطفى"، الدعاء، الحجامة للمريض وخاصة إذا كان طفلا وهو ما يعرف بالتشريط وأحيانا تغيير الإسم للمريض بأسماء معينة.وتكون إحدى أسماء أفراد الفرقة أو المجموعة العلاجية أو أسماء أخرى مثل:خادم، عيدة، ميتاتي، عبد الملك، امبارك، البركة، مباركة.....

البخور أحيانا والمتمثل في تبخير، الجاوي، أم الناس، مسح العرق على المريض، تغطية الحالة أحيانا بغطاء أبيض وخاصة إذا كانت أنثى.

أما نسبة 38% من العينة التي أجابت بـ "لا" فالبعض يشير إلى أنه لا يدري أو ليست له معرفة سابقة بما يحدث في الطقس بالضبط.

جدول 6: يمثل توزيع العينة حسب ما إذا كانت الممارسة الطقسية العلاجية عند لعبيد حاضرة في الإرث من خلال التربية الأسرية

رقم السؤال	5		المجموع
الإجابة	**نعم**	**لا**	
عدد الأفراد	91	50	141
النسبة المئوية	60.66	33.33	%93.33

حيث أجابت نسبة 60.66%من العينة بـ "نعم" أي أن العديد من عائلات منطقة أدرار لديهم منظور أو معرفة بالظاهرة موضوع البحث حيث أنه عند إستنفاذ المسار الطبي هناك من يلجأ إليها. أما نسبة 33.33%فأجابت بـ "لا".

جدول 7: يمثل توزيع العينة حسب الإعتقاد بفعالية طقس لعبيد العلاجي خاصة وأنه يشاع في المنطقة بالأثر الإيجابي له.

رقم السؤال	7		المجموع
الإجابة	نعم	لا	
عدد الأفراد	81	64	145
النسبة المئوية	54	42.66	%96.66

حيث أن نسبة 54% من أفراد العينة أجابوا بـ "نعم" أي بالإعتقاد بفعالية هذا الطقس سواء من ناحية العلاج أو الترويح أو التنفيس وهذه النسبة يمكن القول بأنها متقاربة مع نسبة أفراد العينة الذين أجابوا بـ "لا" والتي قدرت بـ 42.66% والذين نفوا أن تكون أية فعالية كيفما كان نوعها لهذا الطقس كونه أصبح نوعا من التراجع إلى الخلف، إذ يجب مواكبة العصر بما فيه من تطورات حديثة في المجال الطبي.

ولكن على اعتبار أن هناك نسبة 54% إجابة بـ "نعم" ،هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الظاهرة موضوع البحث (البيع الرمزي للعبيد) لازالت قائمة، فهناك من يستحسنها وهناك من يستهجنها. فهي لها نتيجة إيجابية عند البعض والتي قد تكون مجربة في ذواتهم أو ذويهم أو رأيتهم لحالات عينية مثلت للشفاء، أو لتحصيل نتيجة إيجابية من ناحية تحصيل الذرية (الأطفال).

جدول 8: يمثل توزيع العينة حسب فعالية طقس لعبيد في حد ذاته من الناحية العلاجية.

رقم السؤال	9		المجموع
الإجابة	نعم	لا	
عدد الأفراد	88	51	139
النسبة المؤية	58.66	34	%92.66

ما يمكن ملاحظته من الجدول هو أن أفراد العينة الذين أجابوا بـ "نعم" في أن الطقس لعبيد فعالية في ذاته قدرت بـ 58.66% مما يدل على أنه في منظور أغلب العينة هناك فعالية لهذا الطقس بينما أجابت نسبة 34% فالنفي (لا) في كون هذا الطقس لا ينبئ بأية فعالية علاجية.

جدول 9: يمثل توزيع حسب إمكانية التوجه إلى العلاج التقليدي في حالة إستعصاء المرض على الأطباء.

رقم السؤال	11		المجموع
الإجابة	نعم	لا	
عدد الأفراد	112	30	142
النسبة المئوية	74.66	20	%94.66

حيث كانت نسبة 74.66%من العينة أجابت بـ "نعم" و 20% أجابت بـ "لا"، وهذا ما يثبت أنه رغم التقدم والتطور في وسائل العلاج الطيبة الحديثة، لازلنا نرى أفراد وهم كثر يثقون بفعالية العلاج التقليدي بالرغم من أنهم في البداية يتجهون إلى العلاجات الحديثة، وقد يتنكرون أحيانا للعلاجات التقليدية، لكن عن طرق الأبواب الحديثة دون جدوى نجدهم يحاولون ويسعون إلى التمسك بأي خيط يقود إلى العلاج،

رغم عدم اقتناعهم أحيانا إلا أن اللاشعور الجماعي، والذي قد يكون لفضفضة الناس يد في توجه الفرد لا شعوريا إلى العلاج حتى لا يخرج عن الأطر الثقافية لمجتمعه ويشاركهم في توجهاتهم وهو نوع بالإحساس بالإنتماء.

هذا العلاج التقليدي الذي ما كان ليقتنع به ولا زال على رأيه إلا أنه سمعهم يقولون بأن هناك من مثل للشفاء على يد فرد أو جماعة، فيذهب أي أن اللاشعور الجماعي يلعب دور في إمتثال الأفراد لعادات وتقاليد إجتماعية لا شعوريا.

جدول10: يمثل توزيع العينة حسب صلاحية طقس لعبيد العلاجي لأن يكون محطة لطلب الشفاء.

رقم السؤال	21		المجمـوع
الإجابة	نعم	لا	
عدد الأفراد	67	75	142
النسبة المئوية	44.66	50	94.66

حيت نسبة 44.66% من أفراد العينة أجابوا بـ "نعم" ونسبة 50% أجابوا بـ "لا" أي عدم صلاحية لعبيد كطريقة صلاحية لطلب الشقاء . فالملاحظ أن عدد الأفراد الدين أجابوا بـ "نعم" أقل نوعا من أولئك الدين أجابوا بـ "لا" .

وعلى اعتبار أن هناك نسبة وهي لا بأس بها هو هذا أن دل على شيء فإنما يدل على أن الطريقة هاته لها قبول واثر ايجابي في العلاج في المجتمع قيد الدراسة (المجتمع المحلي الإدراري) رغم عدم اقتناع الكثير بهده الطريقة العلاجية الجماعية لكنها تبقى وسيلة من وسائل العلاج الجماعية يقبل عليها البعض لاقتناعهم بها . أو لان هناك من اقبل عليها ومثل للشفاء.

ونسبة 50% تدل على أن شهرة هذه الطريقة العلاجية قلة نوعا ما إلا أنها مازالت ماثلة وتعود هذه النسبة كذلك إلى التفتح على العلاجات الحديثة.

ويبقى أن نسبة 44.66% ترى أن التوجه لهذا الطقس يعزى إلى قلة تكلفته واحتوائه على يتم موسيقي رفيع من نوعه خاصة وهو مرفوق بالمدائح و الصلوات على "النبي المصطفى" والابتهالات إضافة إلى الأدعية والتوسلات للمولى عز وجل وتضرعات.

قبل التطرق إلى تحليل الأسئلة الموالية هناك ملاحظة هي أن هناك استجابات اكبر من عدد العينة وهذا يعود لاختيار أفراد العينة أكثر من بديل للإجابة على سؤال واحد (لان هناك اختيارات) وهذا ما يمكن ملاحظته جليا في كل من الأسئلة التالية :2-8-12-15-20.

أما الاستجابات التي هي اقل من عدد العينة (150) فهذا يعود إما لإمتناع الفرد عن الإجابة و بالتالي السؤال ملغى أو لتركيز الإجابة الشائعة في بديل واحد وهو الأقرب للواقع وهذا ما نلاحظه في الأسئلة:3-9-22 حيت البديل الأكبر نسبة هو الأكثر مصداقية.

جدول11: يمثل توزيع العينة حسب أغراض ممارسة طقس لعبيد.

رقم السؤال	الإجابات	عدد الأفراد	النسبة المئوية
2	**الترويح**	40	26.66
	العلاج	112	74.66
	التقرب إلى الله	26	17.33
المجمـــــــوع		178	%118.65

من خلال الجدول(11) يمكن ملاحظة أن العلاج أخذ أكبر نسبة والمقدرة بـ 74.66% مما يشير إلى أن عرض الطقس العلاجي بدرجة كبيرة، إضافة إلى ذلك فهو ترويحي بنسبة نجدها عند العينة تقدر بـ 26.66% وأحيانا يمارس بغرض التقرب إلى الله نظرا للتضرعات التي يحتويها والإبتهالات.

جدول 12: يمثل توزيع العينة حسب زمن ممارسة الطقس أو ظريقة الطقس

رقم السؤال	الإجابات	عدد الأفراد	النسبة المؤية%
3	موسمي	38	25.33
	دوري	43	28.66
	مناسباتي	62	41.33
المجمـوع		143	%95.32

من خلال الجدول نلاحظ أن البديل (مناسباتي) ورد بنسبة 14.33% وهي أكبر نسبة مقارنة بالبديلين (موسمي –دوري) حيث قدرت نسبتهما على التوالي بـ: 25.33% و28.66%. إذن الطقس ظرفيته مناسباتية بدرجة كبيرة.

الجدول 13: يمثل توزيع العينة حسب: كيفية أو مرجعية تفسير نجاح الطقس العلاجي.

رقم السؤال	الإجابات	عدد الأفراد	النسبة المؤية
8	النية	108	72
	الإيمان	08	5.33
	الإعتقاد	39	26
المجموع		155	%103.33

حيث أخذ البديل الأول (النية) النسبة المسيطرة والتي قدرت بـ 72% بينما البديل الثالث (الإعتقاد) فكان بدرجة قليلة والمقدرة بـ 26% أما البديل الثاني (الإيمان) فكانت النسبة قليلة جدا والمقدرة بـ 5.33%، إلا أنه يبقى أن كل البدائل كانت واردة في إجابات العينة.

جدول 14: يمثل توزيع العينة حسب العلاج التقليدي الموثوق بفعالية في حال إستنفاذ المسار الطبي.

رقم السؤال	الإجابات	عدد الأفراد	النسبة المئوية
12	الطالب	43	28.66
	طقس لعبيد	38	25.33
	طب شعبي	96	64
	مشعوذ	/	/
المجمـــــوع		177	%117.99

من خلال الجدول نلاحظ أن البديل الثالث (الطب الشعبي) أخذ أكبر نسبة والمقدرة بـ 64% مقارنة مع البدائل الأخرى وخاصة الأول (الطالب) والثاني (طقس لعبيد) واللذان قدرت نسبتهما بـ 28.66% و25.33% على التوالي.

مما يدل على أنها لازالت هاته المسارات في العلاج هي توجهات أو وجهات وملاجئ يقصدها البعض وإن كانوا قلة ويرون فيها فعالية علاجية.

جدول 15: يمثل العينة حسب: ماهية الإعتقاد في العلاجات التقليدية طلبا للشفاء.

رقم السؤال	الإجابات	عدد الأفراد	النسبة المئوية%
15	معتقد ديني	17	6.66
	طريقة علاجية فاعلة	48	32
	عرف إجتماعي	42	28
	تقليد وعادة إجتماعية	63	42
المجمـــوع		170	%108.66

ومن خلال الجدول نلاحظ أن البديل الأول (معتقد ديني) أخذ نسبة 6.66% وهي أضعف نسبة، بينما البدائل: الثاني والثالث والرابع (طريقة علاجية فعالة، عرف

اجتماعي، تقليد وعادة اجتماعية) على التوالي كانت نسب متقاربة إلى حد ما وهي على التوالي:32% 28%، 42%.

أما فيما يخص النسبة 42% للبديل الرابع (تقليد وعادة اجتماعية) وهي تتميز عن البقية نوعا ما فهي تعطينا فكرة على أن بعض فئات المجتمع المحلي قد تتجه إلى العلاج التقليدي من منطلق السير على خطى السابقين، فهو إذن التقليد والعادة.

جدول 16 : يمثل العينة حسب: الإقبال على طقس لعبيد العلاجي بالنسبة للأفراد إن حدث فممن كان النصح بالتوجه.

رقم السؤال	الإجابات	عدد الأفراد	النسبة المئوية%
19	**الطالب**	21	14
	الأصدقاء	52	34.66
	الجيران	46	30.66
	المشعوذ	4	2.66
المجمـــــــوع		123	%81.98

نلاحظ من الجدول أن نسبة البديلين الثاني والثالث على التوالي (الأصدقاء – الجيران) في أكبر نسبة وهي متقاربة مما يشير أن الطقس العلاجي في غالبية أحيانه يكون النصح أو الإشارة من الأصدقاء أو الجيران الذين تكون لهم فكرة عن فعالية الطقس.

والبديل الأول (الطالب) فقلما يشير على العميل بهذا التوجه.

جدول17: يمثل توزيع العينة حسب: الدافع لتوجه البعض لعملية البيع الرمزي «للعبيد».

رقم السؤال	الإجابات	عدد الأفراد	النسبة المئوية%
20	**عجز الطب عن شفاء الحالة**	28	18.66
	المرض ليس من اختصاص الطب الحديث	22	14.66
	المرض غير معروف	20	13.33
	قلة الثقة في الطب الحديث	20	13.33
	الإعتقاد في الممارسة الطقسية	86	57.33
	المجمـــــــوع	176	%117.31

من الجدول نلاحظ أن الإعتقاد الممارسة الطقسية هو الدافع للتوجه وذلك بنسبة تقدربـ 57.33%.

أما البدائل الأخرى(عجز الطب عن شفاء الحالة، المرض ليس من اختصاص الطب الحديث، قلة الثقة في الطب الحديث) والتي نسبها على التوالي: 18.66%، 14.66%، 13.33%، 13.33%. مما يشير إلى أن هناك دوافع أخرى قد تؤدي بتوجه البعض إلى هاته الطريقة العلاجية.

جدول 18: يمثل توزيع العينة حسب: معرفتها بعدد المرات التي تتم فيها عملية البيع الرمزي (لعبيد).

رقم السؤال	الإجابات	عدد الأفراد	النسبة المئوية%
22	مرة	118	78.66
	مرتين	04	2.66
	أكثر	09	06
المجمـــــوع			%87.32

حيث كانت النتائج من خلال الجدول والذي يوضح أن الأغلبية الساحقة للبديل الأول(مرة واحدة) وهي الشائعة بنسبة 78.66% وهذا ما تم إثباته من الإتصالات والمحاورة مع المصدر العلاجي (الفرقة أو المجموعة العلاجية). لكن وجود نسبة (2.66%، 06%) يمكن أن يفسر في أنه أحيانا عندما لا يمثل العميل للشفاء، يقومون بإعادة الطقس مرة أخرى، لكن عملية البيع الرمزي تتم في أول ممارسة للطقس أي أن الإنتساب يكون في الممارسة الأولية أو بمجرد الممارسة الأولية، لذلك أعطيت النسب 2.66%، 06% هذا إن دل على شيء فإنما يدل على تكرار العملية غالبًا.

I-5- تفسير نتائج الدراسة الاستطلاعية (الأسئلة المفتوحـــة)

طقس لعبيد العلاجي هو طقس محلي وشعبي وتقليدي يستعان به لعلاج بعض الحالات التي إستعصى شفاءها طبيا كالعاهات الحركية والنفسية ويتوقع منه الشفاء والطقس يكون في شكل مجموعة من الأفراد يلقبون «بالعبيد» حيث أن الفرد عندما يصاب بمرض من الأمراض وربما يطول شفاءه فإن عائلته إذا كانت ممن يعتقدون بفعالية الطقس أو هذا النوع من العلاجات يلجأون إلى بيعه رمزيا للمجموعة ليصبح المريض بعد هذه العملية واحدا منهم مجازا حيث يطلق عليه ولد أو بنت لعبيد أو تجدهم يقولون هذا «ولدنا» أو هاته «بنتنا». بعد هذه العملية التي يبدونها بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه، والتوجه إلى "الله عز وجل" لأجل الشفاء، تشير غالبية العينة وقد يكون النصف أو يزيد بأنه طقس يؤتي ثماره في أحيان كثيرة وقد يضل الطريق في بعض الأحيان إلا أنه عموما ناجح إلى حد ما. وبيقى أن نقول أن هناك من العينة من لا يعرف كيف يتم هذا الطقس بالضبط، فهو يسمعه بلفظته العامة فقط(البيع لعبيد).

فلاحظنا من خلال إجابات العينة أن الطقس في شكله العلاجي يستعمل غالبا في مناسبة المرض سواء جسدي أو نفسي وحالات الوفاة المتكررة للأولاد (الأطفال الصغار)، عدم الإنجاب، الإجهاض،..... ويشار إلى أن هذه العملية العلاجية تكون مرفوقة بطقوس أهمها الرقص الموسيقي من خلال الضرب على الدندون والآلات الحديدية، الأغاني التوسلية والتوجيه "لله سبحانه وتعالى"، رش الماء على المريض، مسح عرق كبير المجموعة على العميل.....

ويعتقد بعض أفراد العينة أن هذه العملية الطقسية قد تستمر لحين من الزمن نظرا لنجاعتها وحصول نتائج إيجابية، وهناك من يرى كذلك أن للطقس فائدة كبيرة وعظيمة عندما يفهم على أن فعاليته مرتبطة بالجانب النفسي للشخص وبنية التقرب إلى الله عز وجل.

وهناك من يشير إلى أن مستقبله مرهون باقتناع الناس به وأنه قد يستمر بتجدد العاهات والأمراض في المجتمع وهناك من يشير إلى أن مآل هذا الطقس إلى الإندثار وهم قلة.

وبالنسبة للأفراد الذين يشاركون في الطقس عامة بمعنى يحضرونه، فهناك من يقول أنه لا توجد لديه أية ردة فعل وهناك من يشير إلى شعوره بالإستغراب والإنبهار والإندهاش وهناك من يشير إلى إحساسه بالراحة، الإرتياح، الترويح عن النفس، والتنفيس خاصة من خلال لباسهم وطريقة قيامهم بالطقس (الرقصة) وضربهم على الطبول ، التصديق لأنهم يعاجلون الشخص العميل بالتوجه إلى "الله" وأقوال يصلون فيها على "النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم".

بالنسبة لأفراد العينة الذين أجابوا بفعالية طقس لعبيد إستدلوا على ذلك بدليل التجارب السابقة لأفراد مثلوا للشفاء وأن لعبيد عندهم نية وهي تكفي لعلاج وشفاء المريض، ولكثرة الحالات التي شفيت بعد المعالجة بطقوس لعبيد وكذلك فعاليته للجانب النفسي أولا بحيث يشيرون إلى أننا إذا إرتحنا نفسيا فقد متنا أو ثبتنا الجسر لباقي الجوانب في السيرورة الحياتية.

وله فعالية لأنه يقدم فيه بعض المدائح الدينية ويذكر فيه اسم "الله" مما يساعد على الشفاء وكذلك لما يرافقه من بشائر الشفاء للمريض وقد يكون للحشد الجماعي دور في إزالة الحالة النفسية من خلال تكاثف هذه الجماعة مع المريض وكذلك لأنهم يتضرعون بالدعاء وطلب من "الله" العفو والعافية وهذا دليل على فعاليته لأن المولى "عز وجل" يقول:

«أدعــوني أستجب لكم»

وهناك من العينة من يرى أن ترديد بعض الكلمات من المجموعة الطقسية يعمل على إبعاد الأشياء غير الجيدة وتطهير النفوس. وتواجد هذا الطقس العلاجي عند فئة العبيد دون غيرهم فهناك من يشير إلى أن هؤلاء لديهم نية مخلصة حسب إعتقادهم ولأن لعبيد هم المأصلون لهذا الطقس وورثوه أبا عن جد وهم يتمتعون بالكثير من

الثقة من المجتمع المحلي وتظهر على ملامحهم النية(البركة). ويشير البعض إلى أن الطقس سهل ولا يحتاج إلى وسائل كبيرة أو نادرة.

وبالنسبة للأفراد الذين يتوجهون إلى العلاج التقليدي بعد استنفاذ المسار الطبي فيشيرون إلى أنه في حالة المضطر يحاولون استعمال كل الطرق للعلاج (صاحب الحاجة أعمى) ولأن العلاج التقليدي لا يتطلب مالا كثيرا، ويشير البعض الأخر إلى كون إحتواء العلاج التقليدي على الذكر والدعاء للمولى "عز وجل" وهو الشافي.

وبالنسبة للعلاجات التقليدية هناك من العينة وهو الغالب بأنه ليس مظهرا للتأخر الفكري، لأن ذلك يخضع لطبيعة كل تقليد وكيفية ممارسه ولأن العلاج التقليدي له صلة وثيقة بمعتقدات الناس الذين يثقون بنجاعته، ويشير بعض الأفراد من العينة فيما يخص طقوس لعبيد، الإعتماد على عبارات دينية وإسلامية المتحلية من خلال الصلاة على "النبي" وقراءة بعض السور القرآنية(الفاتحة) ولهذا لا يمكن أن يعد مظهرا من مظاهر التأخر الفكري.

رغم هذا كله فهناك من العينة من يرى أن العلاج التقليدي برمته تأخر فكري وخاصة طقس لعبيد.

وفيما يخص الموروث الثقافي والحافظ عليه في العلاج التقليدي، فكانت إجابات متقاربة وأخرى وهم قلة متطرفة بحيث أشارت أغلبية العينة أنه يجب الحفاظ على العلاج التقليدي كونه عادة وتقليد الأجداد والآباء الأوائل ويجب حث الأبناء على ممارسته إذ يمكن التسليم به وبقضية الحفاظ عليه ولكن في أطر محدودة جدًا وذلك بمعرفة الشخص الذي يمارس هذا النوع من العلاج ودرايته وإلمامه بما يعالج وأن يكون له ضمير حي وواعي ..... وكذلك شريطة أن يربط نجاحه بالقدرة الإلهية قبل هذا العلاج أو ذاك، والمقصود به طقس لعبيد أو غيره.

إن توجه فئة من الناس للبيع الرمزي (لعبيد) يعود حسب سبر أراء العينة كونه تقليد منهم لمن سبقوهم واعتقادا منهم أن هذا النوع من العلاج له دور علاجي فعال ولنتائجه السابقة التي تعد ناجحة عمومًا وكذلك لتبركهم بهؤلاء (لعبيد).

وهذا رأي غالبية العينة ولكن هناك من أشار إلى هذا التوجه يعود إلى "الجهل" حسب ما ورد على لسان بعض أفراد العينة.

وفي تفسير الشفاء أثر ممارسته أو تطبيق الطقس فالغالبة القصوى ترجح ذلك إلى قدرة الله أولا ونية أهل المريض في شفاء مريضهم والإعتقاد الشديد والأمل الكبير الذي يعلقونه على هذا الطقس العلاجي أثناء وبعد ممارسته. ولهذا تعتبر المجموعة العلاجية (لعبيد) سبب مثلها مثل الدواء الذي يعطيه الطبيب للمريض. وبعد القيام بهذا الطقس فإن هناك واجبات تترتب على الفرد المباع: دفع مبلغ رمزي للمجموعة إذا أراد أهل العميل أو إستدعاءهم لصدقة (الطعام).

ولا يمكن أن يتم زفاف العميل دون حضور العبيد لأنه كما أشرنا سابقا فهو أصبح ينتمي إليهم رمزيا وعائلة العميل تقوم باستدعاء المجموعة لتأدية طقوسها في ختانه أو بعض المناسبات المفرحة.

في صلاحية طقس(لعبيد) لأن يكون محطة لطلب الشفاء فبالنسبة للفئة التي أجابت «نعم» فتبرر ذلك بـأثر الطريقة الفاعل على الجانب النفسي للعميل ولأن غرضها المبدئي هو الشفاء وهو المراد الوحيد منها. وكذلك ثبوت حالات ثم شفاءها من خلال هذه العملية ولأنها سارية المفعول إلى وقتنا الحالي.

فيما يتعلق في ما إذا كان هناك تخمين في الممارسة الطقسية العلاجية (لعبيد) وخلفيتها، فهناك من العينة من أنهم لم يخطر لهم أن فكروا فيها. أما البعض الآخر فأرجع خلفيتها إلى قصد التداوي والتبرك، وقد يعتبر تغيير اسم العميل بمثابة طرد الإسم القديم مع البأس والبلاء والمرض الذي معه واستحداث إسم جديد بأن المريض سوف يبدأ حياة جديدة باسم جديد على اعتبار أن الفرد أول ما يدخل إلى الوجود يعطى له "اسم".

وفيما يتعلق بما إذا كانت هذه الممارسة الطقسية (لعبيد) من الخرافات، فهناك من أعطى إجابة على أن هذه الممارسة درب من الخرافات، ولكن البعض الأخر عقب على إن كانت هذه الممارسة نوعا من الخرافات فلماذا حالات الشفاء تقدر بنسبة كبيرة؟.

وكان من يقول أنه إذا لم تكن هناك إيمانيات والرجوع إلى المولى عز وجل فإن هذه الممارسة وان كانت لها نتائج إيجابية، فيمكن إعتبارها خرافات و هناك من يشير أنه بما أنه هناك نتائج ايجابية ملموسة فهي ليست بخرافات بل هي معتقدات إنسانية تعارف عليها قلة من الناس فتداولوها فيما بينهم.

وأخيرا فبالنسبة للظاهرة قيد الدراسة فهناك من العينة من يرى أنه من الأفضل دراستها دراسة معمقة لتعي المجتمعات التي تمارس هذه الطقوس ثقافة هذا التداوي والعلاج وبهدف الحفاظ على التراث وكذالك على اعتبار أن الظاهرة موضوع البحث (العبيد). خاصة بالمنطقة (أدرار) و نتائجها فاعلة فإذا تمت دراستها ستكون نتائج هذه الدراسة مفتاح لعلامة استفهام كبيرة لكل من يحاول فهم هذه الظاهرة وأنها تصلح أن تكون عنوانا لبحوث أكادمية.

يبقى أن نشير إلى أن هناك من تراودهم شكوك و بعض التساؤلات عن هذا الطقس العلاجي.

II-الدراسة الأساسيـــة:

II-1-الوسائل المعتمدة في الدراسة:

1- الملاحظة:Observation

هي إستثمار لحاسة البصر إذ هي عبارة عن لغة تتجلى في المشاهدة المركزة لحادثة أو ظاهرة من أجل دراستها واستخلاص نتائجها وهدفها جمع المعطيات(1) وهي كذلك وسيلة تفيد في جمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي في بعض المواقف الواقعية في الحياة إذ يمكن ملاحظتها دون عناء كبير.(2)

يعرفها ماسونةMASSONAT 1987:

«L'observation est une implique en général un grand degré de participation de observateur c'est a dire qu il s'agit d'une observation n a forte inférence».(3)

بمعنى أن الملاحظة تقتضي اشراك الملاحظ بدرجة قصوى في موضوع البحث فالملاحظة إذن هي استدلال أو استنتاج شديد الدقة.

وللملاحظة أنواع اعتمدناها في دراستنا:

1-الملاحظة البسيطة: يقصد بها ملاحظة الظاهرة كما تحدث تلقائيا في ظروفها الطبيعية دون إخضاعها للضبط العلمي وهذا النوع يستخدمه الباحثون في الدراسات الإستطلاعية لجمع البيانات الأولية عن جماعة معينة وتتم هذه الملاحظة بطريقتين.(4)

أ-الملاحظة بدون مشاركة: حيث يقوم الباحث بملاحظة دون أن يشترك في النشاط الذي تقوم به الجماعة موضوع البحث أو الملاحظة.

ب-الملاحظة بالمشاركة: يشترك الباحث في حياة الناس الذين يقوم بملاحظتهم ومشاركتهم في نشاطهم موضوع البحث لفترة مؤقتة وهي فترة الملاحظة (1).

1- محمد سلم – منهجية البحث العلمي – دار الغرب – وهران 2001-2002 ص 36-37.

2– د. عبد الفتاح محمد دويدار- مناهج البحث في علم النفس- دارالمعرفة الجامعية - ط2 1998 - بيروت ص 182.

3 -R GHI GLI ONE et J-F-RICHARD- cours de psychologie- DUNOD- éd 3-2003-paris p 473.

4- د. عبد الفتاح محمد دويدار – نمهاج البحث في علم النفس –مرجع سبق ذكره – ص183-184-

1–د. عبد الفتاح محمد دويدار – منهاج البحث في علم النفس – مرجع سبق ذكره ص184-

وهي تدخل في الطنوغرافية حيث يشير مالينوفسكي(B.Malinowski) إلى أن الأحداث الثقافية هي لا شعورية أو ضمنية أو كامنة والثقافة لا يمكن التفسير عنها بواسطة المؤسسات أو القواعد وإنما عن طريق استراتيجيات التصرف أو التفكير معاشة بطريقة آلية وبالتالي لا يمكن استغناء عن الملاحظة بالمشاركة ولكي تتجه هاته الخيرة ينبغي أن يكون هناك نوع من التآلف التدريجي مع أعضاء الجماعية أو القبيلة.[2]

ويؤكد مالينوفسكي على ضرورة الملاحظة بطريقة مباشرة ومستمرة للجماعات التي نكون موضوع الدراسة وهذا لخلق علاقات مع أعضاء الجماعة والتآلف معهم. وعن طريق هاته الملاحظة لوضعيات ملموسة تتمكن من فهم المبادئ الضمنية أو الخفية التي تنظم تجارب الجماعة المعاشة.[3]

2- الملاحظة المنظمة:

الملاحظة المنظمة هي مشاهدة صحيحة تسجل الظواهر كما تقع في الطبيعة وذلك بأخذ السباب ونتائج العلاقات المتبادلة بعين الإعتبار. فالملاحظة عملية تستهلك وقتا وتتطلب مهارة وتجربة كبيرة تجعل الباحث يبتعد عن إعطاء الآراء الشخصية أو التحيز.[4]

2-المقابلة: L'entretien

بلانش: Blanchet 1989

2 -Marie odilee-Geraud-olvier Leservoisier-Rechard P---Les nations clés de l'ethnologie Armand colin-Masson Paris 1998 p-27

3 -IBID P25 - 26

4- أ.د.محمد مزيان – مبادئ في البحث النفسي والتربوي - دار الغرب وهران ط:01 1999 ص 14.

«Un dispositif par le quel une personne A répondant professionnellement a une demande d aide concernant une personne B pour obtenir des informations et agir sur la problématique subjective de B» (1)

فالمقابلة عند "بلانش" تعرف على أساس أعضاء إستجابة لطلب مساعدة أي طلب شخصي (A) مساعدة خاصة من (B) من خلال خطاب ليجعل هذا الخير (B) على معلومات عن (A) سعيا لمعالجة المشكلة الذاتية المتعلقة بـ (A)

غيقليون *R-GHIGLHONE*

«Tout entretien contient un dispositif des procédures qui se déroulent en son sein des donnes sont alors produites puis analysées».(2)

بمعنى أن كل مقابلة تقتضي مجموعة معينة من الإجراءات للحصول على مجموعة من المعطيات والتي يتم تحليلها فيما بعد.

فالمقابلة إذن هي وسيلة للتعرف على الحقائق والآراء والمعتقدات فهي تتيح لنا فرصة ملاحظة الأفراد والجماعات وتستخدم كذلك للتأكد من بيانات ومعلومات حصل عليها الباحث من مصادر أخرى مستقلة.(3)

- أنواع المقابلة.

1- المقابلة المقيدة أو الموجهة

1 - R GHI GLI ONE et J-F-RICHARD-cours de psychologie OPCIT. P 476.

2 – IBID P- 477

3- د. جابر عبد الحميد جابر – د. أحمد خيري كاظم - مناهج البحث في التربية وعلم النفس – دار النهظة العربية –القاهرة ط-01 - 2002 –ص 20 .

تستند إلى نموذج محدد للإستجواب الشخصي في صورة استبيان أي أن المقابلة تكون مقيدة بأسئلة معينة يسألها الأخصائي ويجيب عنها العميل ما يعاب عليها أنها قليلة الفائدة في المواقف الإكلينيكية التي يكون تعاون المريض فيها أمرا بالغا الأهمية.

بالمقابل لها مزايا كونها لا تتطلب غالبا خبرة سيكولوجية متعمقة من الأخصائي النفساني وكونها توفر الوقت والجهد وتيسر المقارنة بين شخص وآخر.

2- المقابلة الحرة:

عبارة عن سلسلة من الأحاديث الحرة التي لاتتقيد بنموذج أو خطة سابقة. فالشخص يترك يتحدث بحرية ويتجنب الأخصائي أية أسئلة مباشرة يوجهها للعميل ويعمل على تشجيع العميل على التعبير عن نفسه بحرية وتمتاز هذا النوع أنه يسمح بالحصول على بيانات مطلوبة بأقل توجيه ممكن وأكبر قدر من التلقائية والحرية والمرونة، استثارة قدر أقل من مقاومة العميل، الكشف عن الخصائص الفريدة والفهم الأكمل لديناميات شخصية العميل.

3- المقابلة شبه الموجهة:

يوجد هذا النوع بين الصورتي السابقتين للمقابلة. يهتدي الأخصائي برؤوس موضوعات رئيسية تستقر في ذهنه يطوعها في مرونة ليجيب على النوعية القريبة للحالة.[1]

بنجهام Bing Ham (1941) يعرف المقابلة على أنها:المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها وينطوي التعريف على عنصرين هما:

1- المحادثة بين شخصين أو أكثر في موقف مواجهة.

2- توجيه المحادثة نحو هدف محدد حيث أن وضوح الهدف شرط أساسي لقيام علاقة حقيقية بين القائم بالمقابلة والمبحوث.[1]

1 - . حسن مصطفى عبد المعطي – علم النفس الإكلينيكي دار قباء –القاهرة ط1 1998 ص 214.

زهران 1980 :المقابلة هي علاقة إجتماعية مهنية دينامية وجها لوجه بين الأخصائي والعميل في جو نفسي آمن يسوده الثقة المتبادلة بين الطرفين بهدف جمع المعلومات من أجل حل المشكلة [2].

تتيح المقابلة فرصة ملاحظة الأفراد والجماعات وهي وسيلة للتعرف على الحقائق والآراء والمعتقدات وتستخدم كذلك للتأكد من البيانات ومعلومات حصل عليها الباحث من مصادر أخرى مستقلة.[3]

E-Maccoby :المقابلة تفاعل لفظي بين فردين في موقف مواجهة يحاول أحدهما استثارة بعض المعلومات والتعبيرات لدى الأخر.[4]

- الإستمارة

مجموعة من الأسئلة الهادفة وضعت بطريقة منظمة ذات أسلوب واضح وبسيط وكلمات مألوفة سهلة الفهم.

ويعرف درفر(Dhever) الإستمارة على أنها عبارة عن سلسلة من الأسئلة التي تتعلق بموضوع أو موضوعات بهدف الحصول على معلومات حول الموضوع قيد البحث من خلال استجابات المستجوبين[1] بحيث قد تكون أسئلتها بشكل مغلق أي

1 - د/ عبد الفتاح محمد دويدار –مناهج البحث في علم النفس –مرجع سبق ذكره ص 189.

2– د/ حسن مصطفى –علم النفس الإكلينيكي – مرجع سبق ذكره ص 207-208.

3- د/ جابر عبد جابر –مناهج البحث في التربية وعلم النفس –مرجع سبق ذكره ص257

4 –KHADIDJA CH-HERVE-Méthodes évaluation et recherches en psychologie chimique 203Paris éd DUNOD. P

1- د/ كمال عبد الحميد زيتوني – منهجية البحث التربوي والنفسي- نشر عالم الكتب –القاهرة ط01 2004 ص 82 .

أن الإجابات محددة ببديلين كأمثلة "نعم" أو"لا" وقد تكون نصف مفتوحة وأخرى مفتوحة فقد تضم الإستمارة الأنواع الثلاث مع بعضها وقد تضم إحداها فأكثر.

- دراسة الحالة:

يشير أحمد "محمد عبد الخالق" أن منهج دراسة الحالة استخدم بنجاح على يد عالم النفس السويسري "جان بياحيه" J.Piaget لملاحظة الإستدلال وحل المشكلة لدى أطفاله من خلال مرحلتين الرضاعة والطفولة.[1]

فدراسة الحالة مصطلح يستعمل في مجال العلوم السلوكية والإجتماعية والإنسانية ليشير إلى الوصف والتحليل الشامل والدقيق لوحدة مستقلة قد تكون، موضوع، شخص، جماعة، حادثة، حالة، عملية،.... أي أن دراسة الحالة تقوم على جمع كل ما يتعلق بالحالة من شاهدات لها صلة بالحالة أو الواقعة موضوع البحث ثم تصنيفها وإعدادها للإستنتاج واستخلاص الشواهد الإيجابية المؤيدة والشواهد السلبية من ثمة يأتي دور التفسير[2].

ويعرفها "حامد زهران" 1980 حيث يرى أن دراسة الحالة وسيلة شائعة الإستخدام لتلخيص أكبر عدد ممكن من المعلومات عن العميل وبعد بحث شامل لأهم عناصر حياة العميل ووسيلة لتقديم صورة مجمعة للشخصية....[3]

فدراسة الحالة قطاع مستعرض لحياة الفرد يركز على حاضره الراهن وهي كذلك الإطار الذي ينظم فيه الأخصائي الإكلينيكي كل المعلومات والنتائج التي يحصل عليها من الفرد وذلك عن طريق: الملاحظة، المقابلة، التاريخ الاجتماعي، السيرة الشخصية....[4]

1- عبد الفتاح محمد دويدار – مناهج البحث في علم النفس – مرجع سبق ذكره –ص278 .
2- نفس المرجع –ص 273-274.
3- نفس المرجع –ص 278
4- د/ حسن مصطفى عبد المعطي – علم النفس الإكلينيكي –مرجعه سبق ذكره –ص 156.

- مسجل الصوت Magnétophone :

لتسهيل تدوين المقابلات.

- آلة تصوير متحركة Camera :

ثم إدخال الكاميرا في الملاحظة أو بالأحرى في دراستنا والتي يعتبر من التطورات العلمية الجديدة حاليا، فأدرنا أن نسير على أدراج هذا التطور، وهي تقنية لا تمكننا من رصد الوضعيات فحسب، بل أكثر من ذلك وهي تحقيق نوعين من الملاحظة مختلفين.

1- الموافقة أو الاتفاق على الحكم.

2- مصداقية هدف موضوع البحث[1].

1- Jean Pierre Rossi et Coll, les méthodes de recherche en psychologie, DUNOD, Paris, 1999, p78.

II-2- الحالات المدروسة :

حاولنا في هذه الدراسة الأساسية التطرق إلى أربعة حالات عيادية تم انتقائها من المنطقة الممارسة للطقس بأدرار بحيث تكون الحالة على عهد جديد أو حديث من ممارسة الطقس عليها لمعرفة الجانب السيكولوجي والاجتماعي المترتب اثر القيام بالطقس من قبل الحالة ،حيث تم الحصول على حالة من منطقة قورارة تبلغ من العمر 24 سنة تم اجراء الطقس لها في 2001 و الحالة هاته تتمدرس بالجامعة حيث تمت المقابلات معها في محيط الحي الجامعي .الحالة الثانية من اقليم توات الوسطى و التى تبلغ من العمر 54 سنة غير متعلمة تمت ممارسة الطقس عليها في مارس 2007 و هي امرأة ماكثة بالبيت متزوجة وأم لتسعة أبناء ،مقعدة اثر تأثير المرض حيث تمت المقابلات معها في بيتها، الحالة الثالثة من إقليم توات الوسطى (زاوية رقاني) تبلغ من العمر 59 سنة غير متعلمة وهي ربة بيت، أرملة توفي عنها زوجها في رمضان 2006، أم لثمانية أبناء ثلاثة أولاد وخمسة بنات، بمستوى اقتصادي متوسط، تمت المقابلة معها في بيتها، أم الحالة الرابعة فتمت ممارسة الطقس عليه إثر اضطراب نفسي كان يعاني منه وبعد طرقه للمصحات الحديثة دون تحسن يذكر لجأ لعملية البيع الرمزي في 2000، وهو شاب في 37 من عمره متزوج وأب لطفل موظف في قطاع الأمن بمستوى اقتصادي متوسط من إقليم توات الوسطى، حيث تمت المقابلة معه بالقطاع الصحي رقان إثر دعوة وجهت إليه من قبلنا.

التقرير السيكولوجي للحالة الأولى

- البيانات الأولية :

الإسم : س

السن: 24 سنة

المستوى الدراسية: جامعي

الحالة المدنية: عازبة

المهنة: طالبة

عدد الإخوة: 08 الذكور: 03 الإناث: 05

الوالدين: الأم: على قيد الحياة الأب: على قيد الحياة

المستوى الاقتصادي: متوسط

الإقليم: قورارة

مكان الإجراء: الحي الجامعي

- السيميائية العامة للحالة :

أ- الهيئة المورفولوجية: س، تبلغ من العمر 24 سنة، ذات قامة قصيرة وجسم نحيل، حيث أن شكل جسمها لا يتناسب مع سنها فهي تبدو صغيرة بالنظر إلى جسمها مقارنة بعمرها، وتتميز الحالة س بملامح شبه عادية.

ب- الوجدان والعاطفة: لدى الحالة عاطفة جياشة خاصة بالنسبة لوالديها وخاصة أبوها إذ تتميز بالاحترام والتقدير والحب.

ج- التعبيرات الوجهية: هي تبدو إنسانة مرحة واجتماعية وهذا ما تظهره أو تحاول إظهاره لكن خلال المقابلات المجراة معها والملاحات يتضح أن الحالة تعيش في أعماق حزن، وقد يرجع في الغالب للمرض الذي تعاني منه أوالأوجاع التي تعاني منها أحيانا، ويصبغ على ملامح الحالة (س) نوعا من الحياء وهذا ما لاحظناه خلال مقابلاتنا معها.

د- الاتصال: في الحقيقة الاتصال كان خال من أي خال من أي تعقيدات أو صعوبات، حيث أن الحالة (س) استقبلتني بصدر رحب يتسمع لأي كان خاصة وأن صديقتي، فالحالة رغم الانشغالات الدراسية إلى أنها لم تأبى إلا أن تجلس معنا وتتحاور معنا في كيفية قيام الطقس العلاجي (لعبيد) عليها متسلسلة في ذلك في الأحداث، وبتواريخها، فالاتصال كان سهل وسهل للغاية.

وفي كل مقابلة كانت الحالة (س) تستقبلني بوجه ضاحك ومستبشر مما سهل لي الخوض معها في الحديث وطرح الأسئلة دون تحريج لها.

هـ- النشاط العقلي :

- اللغة: سهلة وبسيطة ومفهومة

- التفكير: ذكاء لا بأس به، تركز عند طرحنا للسؤال بصمت وانتباه وأحيانا أخرى تستفسر إذا لم تفهم السؤال المطروح والغرض منه، فلم أجد صعوبة في الحديث معها.

و- العلاقات الاجتماعية:

علاقتها ودية وحميمية مع جميع أفراد عائلتها، والديها، أخواتها وخاصة مع والدها وأختها التي تصغرها سنا وأخوها الذي هو مريض.

تشاور أمها في كل كبيرة وصغيرة وكذلك هو الحال بالنسبة لوالدتها، الكل يحرص على راحة الحالة وخاصة والدتها ووالدها، وهي بهذا الجو الحميمي راضية عن تصرفات وسلوكات عائلتها اتجاهها، ليس لديها أصدقاء ماعدا واحدة هي تفضل الوحدة والعزلة أحيانا.

ز- النشاط الحركي: الحالة هادئة وتتميز برزانة و الوقار والحياء.

1. التاريخ الطفولي:

في بداية المقابلات أشرنا على الحالة (س) أن تتحدث لنا عن طفولتها وكيف مرت، وأهم الأحداث التي لازالت راسخة في ذهنها من أيام الطفولة، فأشارت علينا الحالة (س) بأنها كانت تتميز بالوحدة منذ صغرها وهادئة وهذا ماأكدته لها والدتها كما تقول "من بكري وانت هاك ما تبغي تلعبي مع لعيل"، تقول الحالة (س) أنها كانت لا تدخل مشاكل للبيت ولا خارج البيت، فليس لها مشاكل في المدرسة ولا في المحيط الجواري، حيث أن المعلمين كما تقول الحالة كانوا يشهدون لأبوها بهدوئها وجديتها في الدراسة وعدم تشويشها.

2. الجانب العلائقي:

وتشير الحالة (س) فيما يتعلق بالعلاقة الحميمية مع والدها أنه منذ الصغر كما تقول: "با ماكانش يبغي لي يحقرني".

تقول الحالة أنه في صغرها عند ولادة أمها لأختها التي تصغرها سنا بقت ماكثة مع جدتها، هاته الأخرى التي تربطها بها علاقة حميمية وودية ذات وقار واحترام.

ومن ثمة أردنا أن نتعرف على الجانب العلائقي للحالة (س)، فالعلاقة مع الأب جد حميمية كما تقول الحالة "نقادره بزاف بزاف" ونحترمه، فهي تقول أنه عند دخوله إلى البيت فإن البيت كله أي إخوتها يصبح وقار (وهيبة) وعلاقته (الأب) مع الحالة كونها البكر أقرب إليها من إخوتها، والحالة كما تشير أنها قريبة من الأب تقريبا أكثر من الأمر، وهي تقول أن هذا لا يرجع لأي شيء إلا بكون الوالدة أكثر انشغالا بأخواتها، مما قد لا يوفر فرصة التحاور والتجمع اليومي المتكرر.

عند مرض الحالة الأب كان دائما يلازمها، وعندما يسمع بأن فلان يشفي فإن والدها يبادر بحملها إليه مهما كانت المصاريف والمتاعب والعناء، المهم أن تشفى ابنته والتي يئسوا شفاءها.

وعندما سألناها عن علاقتها مع والدتها فقالت: "صديقتي" (أحكي لها كل شيء وهذا قبل المرض وبعد المرض) وهي كذلك (الوالدة) تبادلها نفس الشعور والانشغالات، بحيث تعتبر (الوالدة) الصدر الحنون بالنسبة للحالة.

تقول الحالة لكن "العيال والاهتمامات"... "يحسن عونها..." عند مرضي كانت تغسل لي ملابسي وتسهر على راحتي..." "عييتها ياسر الله يغفر لي منها"، كانت دائما تبخر لي أثناء مرضي، وهي دائما تستشيرني في أي أمر.

الإخوة: بحكم الحالة في البيت، علاقة حميمة مع الأخت الأقل منها، "الصغار أعرف كيف اتحاور معهم" هي كما تقول "سيسي" مع اخوتها الصغار، وأخوها المريض يحكي لها دائما عن أسراره فهي كما تقول "أنا مخزن أسراره)، يبلغ أخوها 15 من عمره.

الأقارب: هناك مشاكل عائلية (الميراث، الزوجات) مما أثر على الحالة في علاقتها مع أقاربها، تقول ليس هي فحسب بل هي، إخوتها وبعض أقاربها، فتقول على لسان حالها "تعقدنا من الأمور".

الأصدقاء: الحالة ليس لديها أصدقاء كثر، تقول الحالة "قبل المرض كنت وحدي نمشى ونجي" وبعد المرض أصبحت عندي صديقة تعاوني وتكتب معي الدروس.

كانت الحالة تحب الوحدة منذ الصغر، فهي لا تشارك اجتماعيا غالبا، حاليا توجد صديقة قريبة منها جدا كما تقول: "تقف معي في السراء والضراء".

3. بداية المرض:

سألناها كيف بدأ معها المرض"

بدأ المرض تقريبا من أكتوبر 2001 في البدايات كان يغمى علي وخاصة عند التعب أو الإرهاق، على إثر هذه المعاناة ذهبت إلى المستشفى فكانوا يقولون لي ضغط الدم، ومن خلال الفحوص الطبية تحصلت على مجموعة من الأدوية معهم إبرة "عقدتني" فسبب معاناتي الحقيقية هو وضع الإبرة في غير موضعها. عندما

ضربوهالي طحت "مافقتش بروحي" وذلك اليوم قضيته في المستشفى برفقة أمي بعد أن "وعيت" وذهبت إلى الدار "كنت نتمشى بالعكاكيز" ولمدة ثلاثة أيام تقريبا وأنا في حالة تنويم، تقول الحالة "وبقيت نفوت ونفوت وربي ماجابش الشفاء"، بحيث مكثت لمدة شهر في مستشفى أدرار والذي يبعد عن منطقتي بحوالي 240 كلم برفقة جدتي، وأنا لازلت في معاناتي تلك عدت إلى المنزل وبعدها اشتد المرض كثيرا

4. العلاج التقليدي و المعاش النفسي للحالة:

كان الاقتراح من جدتي بأن يجعلوا لي طقس "لعبيد" لعل وعسى يجد مفعولا عندي، أو يكون مفعول علي، وهكذا كان الطقس.

وعن نفسية الحالة قبل الطقس تقول أنها وخاصة في الثلاثة أيام التي اشتد عليها المرض كانت جد متدهورة إذ أنها كانت تشعر بإحساس لا يمكن وصفه "من حيث ليل ونهار تقعدي غير تنيني تنيني بزاف" إذ كان تحس أن أجلها قد حان وقبل دخولها إلى وسط الفرقة أحست بالغرابة إلا أن تشجيع خالها جعلها تندمج شيئ فشيء مع المجموعة العلاجية التي كانت تهلل وتتوسل إلى الله لشفاء الحالة، واحست أنها منحت شرف أن تكون عضو منهم ومحل ومركز انتباههم، تشير الحالة أنها شعرت بالراحة وخاصة أن الطقس عبارة عن تهليل وصلاة على النبي بقولها "يا سبحان الله تحسي بواحد الراحة" ووقوف الجماعة إلى جانبها أحدث عندها نوع من التحقيق والانتماء والاندماج خاصة وأن المرض شكل لها نوع من الوحدة والعزلة ضافي، وعند انتهاء الطقس ورجوع الحالة إلى فراشها شعرت بنوع من الراحة خاصة وأن إيقاع المجموعة متراتب الريتم الإيقاعي من البطئ إلى السريع على مستوى الدف وأصوات وكلمات المجموعة.

وعن التحام الجماعة العلاجية حول الحالة تشير أنهم في الحقيقة كانوا جميعا ملتحمون حولها ابتداءا بالعائلة فردا فردا إلى المجموعة العلاجية الطقسية بالإضافة إلى الجيران والأقارب الذين كانوا يسألون عن أحوالها، مما زاد ثقتها بالمجموعة العلاجية إثر تتبع هذه الأخيرة أحوال الحالة والاستفسار عنها والحرص على معرفة

تحسن حالها، وبعد انتهاء العملية الطقسية طلبت المجموعة من أهل الحالة بإقامة صدقة في الجامع.

تشير الحالة أنه بعد أسبوع من الطقس ذهبت إلى إحدى ولايات الوطن للعلاج أين أصبح حالها يتحسن شيء فشيء، فهي تعزى تحسن حالها إلى الله عز وجل أولا وبالموازاة فهي لا تتجاهل وقع الممارسة الطقسية على حالتها النفسية آنذاك.

تضيف الحالة أن المعاناة المرضية لم تطأءها هي فحسب فقبلا مرض أبوها وحاليا أخوها الذي يصغرها حيث يعتقد أهل الحالة وخاصة جدتها أن تغير السكن على اعتبار أنهم قبلا كانوا في بيت آخر إذ كانوا في أحسن حال ومن حين غيروا المسكن أصبح الأمراض تترصدهم.

التقرير السيكولوجي للحالة الثانية

- البيانات الأولية :

السن : 1943 (54 سنة)

المستوى الدراسي : أمية

الحالة المدنية : متزوجة

المهنة : ماكثة في البيت

عدد الأخوة 07 الذكور : 04 الإناث : 03

الوالدان : متوفيان

الأبناء : 09 الذكور : 04 الإناث : 05

المستوى الإقتصادي : متوسط

الأقليم : توات الوسطى

مكان الإجراء: بيت الحالة

- السيميانية العامة للحالة:

أ- الهيئة المورفولوجية : تبلغ من 54 سنة ذات قامة متوسطة جسم نحيل إثر تأثيرها بالمرض, الحالة مقعدة أثر مضاعفات المرض فهي لا تكاد تتحرك غل بمساعدة أبناءها وبالأخص إبنتها التي أنسحبت من الدراسة في مستوى التاسعة متوسط (أساسي) تتغير الحالة بملامح عادية تارة وحزينة تارة أخرى خاصة عندما تتذكر مرضها وتتذكر كيف كانت حالتها من قبل.

ب- الوجدان والعاطفة : (ع) لديها عاطفة قوية إتجاه أبناءها وإخوتها التي تقول إنها هي التي كانت تعمل على كسب قوتهم.

ج- التعبيرات الوجهية : (ع) إنسانة إجتماعية وهذا من خلال إقبال الزوار عليها ومساندتها في مرضها وهذا كذلك من خلال حديثها على أنها كانت دائما تساعد الجيران والأقارب و الأحباء في الوقوف على جانبهم في أفراحهم (العرس...) وأحزانهم (الوفاة...) في طهي الطعام.

هذا ما يجعل الحالة عندما تحكي عن ماضيها ينتابها أسى وحزن على حاضرها هذا حيث أصبحت مقعدة وفقدت حركتها وحيويتها التي كانت تتميز بها أنفاً.

د- الإتصال : في الواقع الاتصال مع الحالة كان سهلاً نوعاً ما، خاصة وأنني حضرت لهذه المقابلة منذ شهر تقريباً بالاستعانة ببعض المعارف الذين كان لهم اتصال مع زوج الحالة حيث تقبل هذا الأخير المقابلة بكل سهولة وترحيب فكان قد مهد لنا الطريق إذ عندما دخلت إلى بيت الحالة قوبلت بالترحيب من الحالة نفسها ومن أبناءها وزوج الحالة.

لكن مرض الحالة جعل الحديث معها نوعا ما يستدعي شيء من التركيز مني لأفهم كلام الحالة وأسمعها جيداً لكن رغم هذا فكانت تجيب على كل سؤال أسالها إياه لكن دون إسترسال إلى حد ما.

هـ النشاط العقلي :

- اللغة **:** نوعا ما هناك صعوبة على مستوى اللغة وهذا إثر مرض الحالة والذي كان له تأثير على الفم إذ أن هناك إعوجاج على مستوى الفم مما جعل لغة الحالة تتطلب التركيز والإنتباه لكي افهمها حيث انه كذلك أبناء الحالة كانوا يوضحون لي بعض العبارات لأفهمها بحيث كانوا يعيدونها لي بصوت واضح, أشارت لي الحالة أن كلامها بعد مرضها أصبح هكذا.

- التفكير **:** ذكاء الحالة لا بأس به، فخلال المقابلة كانت الحالة منتبهة معنا.

و- العلاقات الإجتماعية : الحالة إجتماعية بطبعها وهذا من خلال حديثها عن ماضيها وتأسيها عليه والعدد الهائل من الزوار الوافدين اليها, فهي تتأسى على قلة حركتها وتعاملها بسهولة مع الأخر كما من قبل حيث أن المرض أطرحها الفراش, وعلاقة الحالة مع أبناءها علاقة عاطفة معبرة وفياضة إذ تشير إلى انهم جميعهم بجوارها وتشعر أحياناً أنها حمل ثقيل عليهم لأنهم لايكادون يفارقونها وبالنسبة لعلاقتها بزوجها فهي لابأس بها وكذلك هو الحالة بالنسبة للاقارب والجيران والحالة لها رفيقات كثر, واحداهن كانت تحكي على حياتها إثراء المقابلة.

ز- النشاط الحركي : الحالة مقعدة (لكن لها حركة) لكنها تقوم بتحريك رأسها بين الحين والأخر وكأنها حركة لاإرادية وهذا كله أثر تأثير المرض.

1. التاريخ الطفولي والاجتماعي

في بداية المقابلة سألنا الحالة عن ماضيها فقال إنها نشأة في عائلة فقيرة تسودها البساطة، حيث أن والدها كان يعمل في الحقل وكان يحصل الشيء القليل لقوت عياله، وعليه الحالة تذهب لتعمل في بيوت الجيران لتساعدهم في أعمالهم اليومية مقابل شيء مادي تعين به عائلتها، فكانت كما تقول غالبا خارج المنزل تعمل، وأخواتها اللواتي كن ماكثات في البيت كن يقمن بأشغال بيتهم.

تقول الحالة إنها لم تكن الكبرى في بيتهم إلا أنها كانت هي النشيطة والحيوية وكانت تعمل على إخوتها فتقول " كنت نخدم ونجيب ليهم يأكلوا ... نهار كامل وأنا نخدم .... إلي نغسل ليه نغسله... ونطحن ونبركش ... ماجيت راجل لكان جيت راجل نعدل كلشي".

تزوجت الحالة من شخص أرادها للزواج فوافقت وتزوجا، لكن أمه لم ترضى على هذا الزواج، سكنت بداية مع أهله (أمه) هاته الأخيرة التي كانت دوما معها في شجار وخاصة أن زوجها كان يعمل خارج البلدة، ولكن بعد ولادتها حيث أمها (الحالة) سندا لها وعونا في مشوارها الزواجي، بعدها استقلت الحالة في بيت لوحدها وقامت على تربية أبنائها في الوقت الذي كان زوجها يتغيب بالأعوام دون أن يروه أو يسمع عنه خبر.

ومن خلال المقابلة بدئ لنا أن الحالة كانت جدا إجتماعية فقد كان لها معرفة بعائلات كثر ممن يسكنون بجوارها وفي بلدتها فكانت تحضر في الولائم والأفراح والأعراس وتساعد ما أستطاعت إلى ذلك سبيل في الطبخ والتنظيف والفلاحة وغير ذلك...

2. الجانب العلائقي :

وعن علاقة الحالة مع أبناءها وخاصة البنات فهي علاقة حميمية وهي تدعو لهن أن يسترهن ويحفظهن لها لوقوفهم بجانبها ومساعدتهن اياها.

وعند سؤالنا أياها عن علاقتها مع زوجها فقالت " مساوية.... مع مول الدار والو ما بي شيء" أما عن علاقتها مع الجيران والأقارب فتقول الحالة : "كامل الناس إسولوا علي"نطقت هذه العبارة وعيناها تغرورقان بالدمع والحزن يخيم على وجهها وهي تتأسى على وضعها الراهن بعدها قالت : " خوتيو جيراني .... الناس كامل جيراني ما كان واحد جيء عدل شيء إلا وعيطوا لي ....." أي أنها تربطهم بها علاقة أخوية ودية هذا بشكل عام عن علاقة الحالة بالأخرين لكن تشير الحالة إلى أنها رزقت بإحدى عشرة طفلا ذكور وبنات كان هناك من يقول لها أنها تلد كثير تقول الحالة "عينوني....

ماتو لي زوج من العيل بنت وولد" والحالة تحب الأطفال فهي تقول: "نبغي لعيل يجروا حداياو لوكان عندى شي نعطيه ليهم".

3. بداية المرض :

بعد أن طرقنا الجانب العلائقي للحالة ومن قبله ماضيها حاولنا أن نسألها عن بدايات المرض تقول الحالة أنها كان تعمل كثيرا مما أنهك صحتها ضف إلى ذلك أنها كانت لها مسؤولية كبيرة في تربية أبناءها خاصة و أن الدهم كان يتغيب بالعام والعامين على حد قول الحالة فكانت تساعد وتعمل عند الغير دون أن يمدونها بعطاء يذكر رغم الجهد المبذول وعندما أطرحها المرض الفراش اتجهت إلى المستشفى فكشف عليها بأن لديها الضغط الدموي و السكري و ظلت تعالج و تعالج و وضعها المرضي يزداد تفاقما و تدهورا حيث أنها كانت تظل في المستشفى بعد أن طرقت أبواب الطب الشعبي و المتمثل بداية في طب الأعشاب عند أحد العشابين في المنطقة والذي كان ذهابها إليه بإقتراح من بعض الأهل والأقارب والجيران تقول الحالة أنه بمجرد أن يقال لها أن هنالك ثمة دواء لشفاء مرضها إلا وكانت تستعمله وذلك بقولها (الي يقولوا لي الناس ناكلو....ناكلو...) كانت الحالة قد تلقت دواء من العشاب لعلاج

السكري تقول أن الدواء كان مراً جداً مما إضطرها إلى عدم مواصلة استعماله أو بالأحرى توقيف استعماله وذلك بقولها (قلت ليهم لا يمشي يدري لي شيء في كبدتي ....ماكليت كملت القرعة ...) وبعد طرقها هذا الباب اتجاه بها الأهل إلى الطالب في مركز الولاية أين قام بإعطائها بعض الوصفات الدوائية وأشار على أهلها بأن يجعل لها طقس العبيد وأكد لهم أن لا يتجوزوا الأسبوع الذي كانت قد زارت فيه الطالب.

4. العلاج التقليدي والمعاش النفسي للحالة :

بعد أسبوع من عيادة الطالب قام الأهل باستدعاء فرقة أو مجموعة لعبيد التابعيين أو المنتسبين للعبد الصالح (باندلو)* حيث كان عددهم حوالى 40 رجل حضروا إلى بيت الحالة في مساحة متسعة وبدوا يدقون الطبول والاهازيج مرفوقة بالصلاة على النبي (ص) والذكر والدعاء وأشاروا على أهل الحالة أن يأتوا بقطعة من ملابسها وفي أثناء الحركات التي كانوا يقومون بها إلى درجة تسخين العضلات وخاصة الجبهة ثم يقومون بتمرير هذه القطعة على جبهة كل واحد من الفرقة على إعتبار أن هذا العرق يتم التبرك به بعد هذا تقوم الحالة بإرتداء هذا الثوب أو تمريره على جسدها كاملاً.

بعد هذا الطقس قاموا بتغير إسم الحالة من رحمة إلى ميناتي وهم يدعون الله لها ويتوسالونه في شفائها وعندما سألنا الحالة عن تغير إسمها فأجابة بملامح تثير الشفقة (باش لاكان ربي يجيب لي الشفاء) ثم قالت نحن (نتبركوا فيهم كاين لي ربي يجيب ليه الشفاء ويولي بخير) بعدها تقول الحالة (فطروا ..و أتعشاوا.... وطلبوا لي مولانا ... ومشاوا في حالهم... رفدوا لي الفاتحة).

سألنا الحالة عن تأثير طقس العبيد فأجابت (هداك كيف كنت) أي أنها أصبحت في وضعية أحسن (ماكنت ناكل الوكيل ولا نرقد وضوك الحمد لله وليت نرقد وناكل).

فالحالة تشير أن وضعها تحسن نوعاً ما بعد إجراء طقس العبيد لها وهي تضيف كذلك أنها عند سماع العبيد أو المحضرة "يبقى قلبي فارح..." وتقول أنها دائمة

* شخصية أسطورية يتبرك بها أهل توات للكرامات التي تحاك عنه كطهيه للطعام في قدر بحيث كانت رجلاه موقدا.

الحضور لهاته الطقوس الفلكلورية المفعمة بجوى من الروحانية وخاصة طقس العبيد الذي تشعر بالراحة والارتياح عند حضوره وهي تشير قائلة (يريح عقلي...).

وتشير الحالة أنه عند ممارسة الطقس عليها شعرت بالانتماء والاحتواء وخاصة أنها من نفس العرق الذي يشكل المجموعة العلاجية (لعبيد)، وتقول أن طقس لعبيد حقق لها تحسن صحي مقارنة بوضعها من قبل ممارسة الطقس، إذ أنها لم تكن تقوى على الأكل والنوم كما أشارت سابقا، فالحالة (م) تعزي تحسنا إلى المولى عز وجل طبعا والمجموعة العلاجية (لعبيد) من بعده هي السبب، حيث أنه عند قدوم المجموعة العلاجية وأصبحت تردد في أهازيجها شعرت الحالة بجسدها يهتز، وتقول كذلك أنه قبل هاته الممارسة كان يغمى عليها "جيني دوخة" أما بعد الطقس فتشير أنها أصبحت لا بأس.

التقرير السيكولوجي للحالة الثالثة:

- البيانات الأولية للحالة:

الإسم : ع

السن: 59 سنة

المستوى التعليمي: أمية

الحالة المدنية: متزوجة

المهنة: ماكثة في البيت

الأبناء: 08 الذكور: 03 الإناث: 05

الوالدين: متوفيان

الإخوة: 02

المستوى الاقتصادي: متوسط

الإقليم: توات الوسطى

مكان الإجراء: بيت الحالة

- السيميائية العامة للحالة :

أ- الهيكل المورفولوجي: ع، تبلغ من العمر 59 سنة ذات قامة طويلة وجسم عريض وطولها يتناسب مع حجم جسمها وهي تتميز بملامح عادية، ضف إلى ذلك فالحالة تتمتع بصحة جيدة وهذا ما يلاحظ على جسمها فبالنظر إلى ملامحها وعمرها لا يكاد يكون هناك تقارب نوعا ما، إذ تبدو وكأنها أصغر من عمرها، فالحالة تتميز بالرونقة، ضف إلى ذلك جمالية الهندام.

ب- الوجدان والعاطفة: إن ردود الأفعال العاطفية للحالة (ع) أثناء المقابلة عادية أو بالأحرى طبيعية،ما عدا عند حديثها على طفولتها ومعاناتها إثر تغيب والدها وزواجها وهي لازالت صغير وبعض المعاناة في بيت زوجها مع أخوته أين يتميز حديثها عندها بنوع من الحسرة والحزن نوعا ما، وكذلك عند ذكرها لوفاة زوجها الذي ترك لها بنات في سن الزواج لترعاهم وعدم تحصل أبناءها الذكور على مستوى

تعليمي يؤهلهم للحصول على وظيفة رسمية مع قلة المستوى المعيشي لأسرتها، لكن رغم هذا فملامح الابتهاج تظهر على ثغرها من حين لآخر.

ج- التعبيرات الوجهية: الحالة (ع) تبدو مرحة ومبتهجة وهذا ما رصد خلال المقابلة فهي ذات طابع ابتهاجي والابتسامة لا تكاد تفارق وجهها.

ج- الاتصال: الاتصال كان سهل للغاية حيث أن الحالة استقبلتنا دون أية خلفيات وذلك رغم انشغالها وخاصة أنها كانت تتمدرس في مدرسة قرآنية (لقربيش) فبمجرد خروجها من المدرسة مكثت معنا لإجراء المقابلة دون أن تضع بالا للتعب أو الإعياء، ضف إلى ذلك ترحيبها الحار.

هـ النشاط العقلي :

- اللغة: سهلة وبسيطة ومفهومة بالنسبة لي في الغالب.
- التفكير: ذكاء معتبر تركز عند طرح الأسئلة وفي الإجابة أيضا.

و- العلاقات الاجتماعية:

علاقات الحالة (ع) مع أفراد عائلتها مستقرة وذات اتصال متين، أما عن علاقتها بالأخر (الأقارب، الجيران...) فهي اجتماعية إذ تميز سلوكاتها وتصرفاتها بالمعاملة الحسنة تجاه الآخر.

ز- النشاط الحركي: الحالة تتميز بطابع النشاط والحيوية الممتزج بالسكينة والتعقل.

1. التاريخ الطفولي :

عاشت الحالة (ع) طفولتها بين أحضان أمها وأخوانها خاصة أن الوالد كان آنذاك غائب في إطار فرصة عمل خارج الوطن (فرنسا) حتى أن الحالة ظنت أن أباها متوفي، ليأتي بعدها إلى الوطن وهي فتاة صغيرة وكذلك أخويها حيث قام والد الحالة عندها بإختتان ولديه ليرحل بعد ثلاثة أيام من عملية الإختتان إلى فرنسا ويغيب بعدها خبره، واستمر غيابه إلى أن بلغ أخ الحال وصاما الإثنين (الحالة – أخوها) ليستقر بعدها الوالد في المنطقة حينا من الزمن ليشد الرحال مرة أخرى، ولكن هذه المرة إلى

تمنراست في إطار البحث عن عمل ليعود بعدها إلى المنقطة ويقتني بيت خاص ليعيش فيه هو وعائلته عيشة ميسورة الحال، لكن قبل هذا تشير الحالة أن تغيب الوالد خاصة إلى الخارج أثر كثير على حياتهم المعيشية حيث أن هذا الأخير لم يكن يرسل نقودا لعائلته طيلة المدة التي مكثها في فرنسا مما اضطر والدة الحالة أن تعمل لضمان عيش أبنائها.

فالحالة تشير إلى أنها عاشت في هذه المرحلة لتدخل بعدها إلى الحياة الزوجية وهي صغيرة السن (صومها الثاني) حيث تشير إلى أنها لم تعش طفولتها بمعنى الكلمة، ولم تمكث الوقت الكافي م أهلها.

تشير الحالة أنها في زواجها عانت نوعا ما لأنها كانت صغير في السن ضف إلى ذلك مكوثها مع زوجها في بيت أهله الذي كان يضم إخواته الأربعة الذكور ووالده إذ كانوا يمارسون عليها العنف والمتمثل في الضرب "تمرمدت شوي في الزواج أعلاه صغيرة كانوا إبطوني" رغم هذا فالحالة كانت لا تتواني في أخذ حقها من إخوان زوجها "وأنا شوي قويسحي ما نطمعهم"، قالت الحالة هاته العبارة وهي مبتسمة تتذكر الأيام التي خلت.

وهكذا عاشت الحالة مع زوجها في البيت الكبير حينا من الزمن المقدر لها حيث أنه عندما توفي والد زوجها انتقلت الحالة وزوجها إلى بيت مستقل عندها أنجبت أولادها وتشير الحالة أنها حينئذ أصبحت في أحسن حال، وعاشت عيشة متوسطة، رزقت الحالة بداية أربعة (4) بنات لترزق بعدها بابن وهنا بدأت معاناتها المرضية.

2. الجانب العلائقي :

تشير الحالة أن العلاقة مع أخويها حسنة إلا أنها في طفولتها لم تستمتع معهم كثيرا خاصة وأنها تزوجت صغيرة، وأما عن علاقتها مع والدتها فهي تشير أنها كانت تقف معها في السراء والضراء وتبت من أجلهم (الحالة-أخويها) ليعيشوا عيشة لا بأس بها، أما عن الوالد فبعد أن استقر في البلدة حاول أن يعوض أبناءه الأيام التي خلت فوالدي الحالة وقفا معها في محنتها المرضية، أما عن علاقة الحالة مع أبناءها فتشير أنها جد حسنة فهم يطيعونها ويحترمونها وتحبهم كثيرا،وخاصة البنت الصغرى التي تتمدرس في السنة الأولى جامعي.

وعن العلاقة مع زوجها فتشير أنها كانت لا بأس بها حيث أن هذا الأخير انتقل إلى رحمة ربه في رمضان 2006، وعن علاقاتها مع الآخر (الجيران، الأقارب) حسنة جدا، فالحالة جد اجتماعية فهي تصفهم بحسن تعاملهم ومعاملتهم والسكينة والوقار والاحترام.

3. بداية المرض:

إثر ولادة الحالة لإبنها الذكر بدأت المعاناة المرضية "طاب فمي...قست الدم" أي أنها نزفت دم كثير في نفاسها وأخذت حالتها تتدهور شيء فشيء لتذهب إثرها إلى المستشفى مرارا وتكرارا إلا أنها لم تحظى بأي تحسن "نمشي لسبيتر ونجي ماهم عارفين لي شي" فهي تشير إلى أنه لم يتم تشخيص مرضها من طرف الأطباء الذين كانوا آنذاك، وأخذت حالتها تتدهور إلى أن أصبحت لا تقوى على الحراك وهزل ونحف جسمها "وليت كالطركة نتقمط" لتتوجه مرة أخرى إلى المستشفى حيث تم وصل لها بعض الأدوية تقول الحالة أن تحسنها كان بطيئ إثرها تم استدعاء المجموعة العلاجية لعبيد من طرف أهلها وذلك بعد إعلامها.

4. العلاج التقليدي والمعاش النفسي للحالة :

تم استدعاء فرقة لعبيد العلاجية حيث جاءت المجموعة العلاجية إلى بيت أهل الحالة والتي كان عددهم حوالي العشرة ويزيد، حيث كانت عائلة الحالة ملتفة حولها في محنتها هذه كما تشير إلى ذلك: الأب، الخال، الأم، الزوج "ناسي جراوا علي"... بالإضافة إلى المجموعة العلاجية بقولها "إزوروك وإبيعوك...بعوني وداروا لي لعرق... قرقابو وكل شيء" وقبل هذا تقول الحالة أن المجموعة العلاجية.

جلست الحالة في وسط المجموعة حيث تم تطبيق الطقس عليها وذلك بوضع الصناجات الحديدية فوق رأسها من طرف شيخ الفرقة وهم يرددون [ياربي لعفو-الجود منك ياربي لعفو] وبعدها قام الشيخ بتمرير السيقة من منبت الشعر إلى القدمين ومن الكتف إلى القدمين ابتداءا من الجهة اليمنى ثم اليسرى على الحالة.

في الوقت الذي كانت المجموعة تردد أهازيجها وتصلي على النبي وتلطف (يا لطيف يا لطيف) بالدق على الطبول والصناجات، بعدها قروا الفاتحة أي بعد انتهاء العملية الطقسية وأشاروا على أهل الحالة بأن يجعلوا الصدقة كما تقول الحالة "صدقة على رجال لبلاد".

وعن المعاش النفسي للحالة قبل الطقس تشير أنها لم تكن تقوى على الحراك "تكرفست...تحسن رأسي وطاح زغبي... كنت مبرهشة ماعندي حالة".

وبعد ممارسة الطقس وخاصة في تلك الليلة تشير أنها كانت جد مرتاحة ونامت نوما هنيا على اعتبار أنها لم تكن تنام وتأكل جيد قبلا إلا الشيء القليل "بت مريحي مسقمة على روحي رقدت داك اليوم تبارك الله" وبعدها أصبحت حالتها الجسمية والنفسية تتحسن شيء فشيء "نهار لي جاوني لعبيد عدت شهر خير من شهر، نهار خير من نهار يا ربي ليك الحمد... جاو على السبة من عند مولانا سبحانه لا إله إلا هو أثروا علي".

فالحالة تشير أنها حققت راحة جسمية ونفسية حيث أنها أصبحت بصحة جيدة وكذلك إيمانها حيث أنها كما تشير قبلا كانت مضطربة نفسيا حيث أنها كانت تمارس عنف على والدتها في حين مرضها. إذ أنها قيلا كانت تشعر بإختناق أو ضيق، لمحت الحالة لنا أن أفراد المجموعة العلاجية كانوا يقبلون عليها بعد العملية ليسلموا عليها

ويسألون على حالها وأحوالها "إجو إصبحوا علي وإمسوا علي ويقولوا لي بخير...إياك أنكي لا بأس" وبعد تحسنها التدريجي انتقلت الحالة إلى بيتها.

تقول الحالة أن أهلها ساندوها في محنتها بل وتضيف أن كل أهل البلدة كانوا إلى جانبها، وذلك باستفسارهم على أحوالها وإرسال السلام والتحية والتفريج عنها من خلال إقبالهم عليها "إقعدوا حداي إونسوني"، حيث أنهم كانوا يخففون عليها معاناتها "إنولي نتفاجي بشوي شوي وبقيت نتفطن باش راني نولي لا بأس ماهو كما قبل كنت مزموتي ضيق بي الحال".

سألنا الحالة عن السر في نجاح العملية الطقسية بالنسبة لها فأجابت بالنية "تنوي فيهم نية من عند مولانا جيئيك مسلسبة" وهذا كله بقدر الله عز وجل وما الطقس إلا سبب كما تشير الحالة "جاوا على السبة" من عند المولى عز وجل، حيث أصبحت تقف شيء فشيئا إلى أن أصبحت تقف وحدها بتيسير من الله".

التقرير السيكولوجي للحالة الرابعة:

- البيانات الأولية للحالة:

الإسم : ب

السن: 37 سنة

المستوى التعليمي: ثانوي

الحالة المدنية: متزوج

المهنة: موظفة في الأمن

عدد الإخوة: 09 الذكور: 04 الإناث: 05

الوالدين: على قيد الحياة

الأبناء : 01 (ذكر)

المستوى الاقتصادي: متوسط

الإقليم: توات الوسطى

مكان الإجراء: القطاع الصحي رقان

- السيميائية العامة للحالة :

أ- الهيكل المورفولوجي: ب، يبلغ من العمر 37 سنة، ذو قامة طويلة وجسم عادي، يتميز ببنية قوية وملامح عادية، وهيئة نظيفة ومتناسقة.

ب- الوجدان والعاطفة: يتميز الحالة بعاطفة حميمية وودية اتجاه الوالدين اللذان ربياه وساهما في بناء قواعد شخصيته، وكذلك هو الحال بالنسبة لأخوته، وكذلك عاطفة حب وتقديس لزوجته وحب وحنان تجاه ابنه الصغير.

ج- التعبيرات الوجهية: الحالة (ب) يبدو ذو شخصية جدية وهذا ما يتضح من خلال تعبيرات وجهه لكن هذا الألم يمنع من ارتسام ملامح البهجة والابتسامة على محياه، كما أن تعبيرات وجهه كان متسايرة مع الأحداث والوقائع التي مر بها فكل حدث كان يتميز برد فعل جسدته تعبيرات وجهه.

د- الاتصال: الاتصال كان سهل إلى أبعد ما يكون لأن الحالة كان يتميز بمستوى تعليمي لا بأس به مما جعل هاته العملية سهلة وذلك من خلال سلسلة لغته ووضوحها.

هـ النشاط العقلي :

- اللغة: تتميز لغة الحالة (ب) بالسلاسة والوفرة والفصاحة حيث أن المحتوى الشفهي للغة الحالة تميز بالتلقائية في الإجابة والاستفاضة حيث أنه لم تكن له صعوبة في التعبير عن انفعالاته من خلال لغته فكان كما يقال –ما في قلبه على لسانه-

- التفكير: يتميز الحالة بقدرة عقلية لا بأس بها والتي تجسدت في ضبط التوجهات المكانية والزمانية والذاكرة السليمة والقوية التي أظهرها من خلال رصد أحداث ماضية وخاصة طفولته وكذلك الإصغاء والتركيز.

و- العلاقات الاجتماعية:

علاقة الحالة (ب) مع أفراده عائلية تتميز بطابع الاحترام والتقدير والمودة والحب أما عن الآخر فيشير إلى أنه اجتماعي إلى أقصى الحدود فمن طبعه التعامل والالتحام مع الآخر في إطار الاحترام المتبادل.

ز- النشاط الحركي: الحالة يتميز بالحيوية والنشاط وهذا ما قد نلمحه من خلال حديثه عن عمله وطموحاته والتي كانت تتمثل في محاولة التعرف على كل كبيرة وصغيرة تخص عمله.

والنشاط والحيوية هاته يخالطها التريث والرتابة.

1. التاريخ الطفولي :

عاش الحالة (ب) طفولته بين البيت والمدرسة القرآنية وكذا التربوية حيث كان يلعب مع أولاد جيرانه وأقاربه، كان الحالة يتمدرس في مدرسة ابتدائية بعيدة عن مقر سكنه حيث كان يقطع مسافات طويلة مرارا وتكرارا للوصول إلى المدرسة، إذ كان لتأثير جو الفصول وخاصة الشتاء الذي كان يتميز بالبروة القارصة والتي كان لها تأثير كبير على الحالة وهو في هذه المرحلة العمرية (الطفولة) وتلك في أواخر

السبعينات حيث يقول "البرد كان يعدبنا شوي" مما أفرز تأثير على نتائجه وتحصيله الدراسي، لينتقل بعدها إلى المرحلة المتوسطة وهنا طرح مشكل آخر وهو قلة توفر وسائل النقل من مقر سكنه إلى مركز الدائرة، إن لم نقل انعدامه حيث كان همه الشاغل في اليوم هو أن ينام باكرا ليستيقظ باكرا ليلتحق بالنقل الذي كان ينقل العمال وبعد هذه المعاناة يقول الحالة حلت تقريبا هذه المشكلة من طرف أعوان الحي إذ قاموا بتوفير نقل خاص بالتلاميذ مقابل مبلغ رمزي يقدم لسائق النقل، وهكذا قلت المعاناة نوعا ما. حيث كان تحصيله في هذه المرحلة متوسط حيث يشير أن التحصيل في هذه الظروف كان جد صعب وخاصة أن أسرته كانت متوسطة الدخل، واستمرت دراسته في هذه الظروف إلى غاية مستوى الباكالوريا والتي أعادها مرة ليقرر بعدها ترك مقاعد الدراسة والتوجه إلى الميدان العملي نظرا للأوضاع التي كانت تعيشها عائلته، مما جعل التفكير في مواصلة الدراسة أمر غير مطروح على الساحة، إنما الأهمية الكلية للبحث عن فرصة عمل لتحصيل قوته وقوة عائلته خاصة وأنه هو الابن البكر في العائلة ومدخول والده كان لا يكفي لتوفير ميزانية البيت، مما اضطره أن يتجه هذا الاتجاه.

يضيف الحالة أنه خط هذا الاتجاه تبعا للمرحلة العمرية التي كان يعيشها (المراهقة) إذ أنه كان يفكر كيف يخلق مدخول ليلبي حاجاته ويساعد قدر الإمكان في مصروف البيت نظرا لغلاء المعيشة وكذا تحقيق طموحاته العمرية، تمدرس الحالة في مدرسة قرآنية عند أحد المدرسين وبعدها التحق بجده الذي كان مدرسا للقرآن الكريم ومن ثمة عند مدرس آخر، وفي الليل كان يتمدرس على يد أحد أحفاد الوالي الصالح الرقاني في إطار الأمور الدينية والفقهية، حيث يشير الحالة أنه أخذ منه فوائد عدة وهو يحمد الله على هذا العطاء، فالحالة كان متأدبا وملتزما ومصوابا ومتربيا، وهذا الشيء الآخر ينطبق على عائلته بشكل عام.

2. الجانب العلائقي :

يقول الحالة أن علاقته مع والده جد حسنة وكذلك هو الحال بالنسبة لوالدته، فالعلاقة مع الوالدين بشكل عام فيبول: "العلاقة مليحة والحمد لله" فهما اللذان سهرا على تربيته ورعايته لتكوين شخصه وليكون مقبول في المجتمع وذو تربية حسنة.

فالحالة كان محبوب لدى والديه ولا يزال حيث يقول أن له مكانة عند والديه مقارنة مع أخوته كما أن العلاقة مع أخوته جيدة ومتناسقة وخلقية وحميمية فهم أخوة بمعنى الكلمة، والحالة مع أقاربه وجيرانه يتميز بالاجتماعية بقولة: "اجتماعي إلى أقصى درجة" حيث أن يتقصى على أخبار الأهل والأقارب والجيران هذا الشيء الذي كان كذلك متبادل بين الطرفين.

الحالة والآخر، إذ يقول أنه من خلال اجتماعيته هذه وجد نفسه مع الآخر.

3. بداية المرض:

يشير الحالة أن المعاناة بدأت في مجال العمل هذا الأخير الذي كان يفرز في البداية على المبتدى جو مغاير لا يكاد الواحد يندمج معه في البداية اندماجا تاما وصعوبة التأقلم خاصة وأن شخصيات الأفراد تتباين مع قلة إلمام الحالة الشامل بكل ما هو موجود في الوظيفة (في القطاع الأمني) حيث أن الحالة كان يتميز بالجدية في العمل والفضول في الجانب المهني حيث أنه كان يسعى للتعرف على وظيفة وأهم المهام المنوطة به، فكان بوده أن يكون على دراسة بالأشياء والأعمال المقبل عليها، إذ كان من طبعه حب العمل والجدية فيه، وكان لا يحبذ أن يكون في عمله مكتوب الأيدي فكان ينشط نشاط معتبر مما أفرز ضغوطات في العمل، وهو الشيء المعروف في تسيير المؤسسات العمومية في بلدنا.

فالحالة كما يشير كان يتمتع بأفكار قديراها الآخر مثالثة حيث اصطدم بواقع أخر، ضف إلى ذلك أن الحالة كانت له رغبات وطموحات مستقبلية يود أن يحققها في الجانب المهني والأسري لكنه اصطدم بواقع مر مما جعل هاته العثرات والصدمات تؤثر عليه من الناحية النفسية إذ أنه كان يرغب في الزواج من إحداهن إلا أن القدر لم يحالفه نظرا لظروفه الاقتصادية، ضف إلى ذلك ضغوطات العمل وتصادم أفكاره مع

الواقع العملي في المؤسسات العمومية الجزائرية، فالحالة لم يكن يتمته بمقاومة صلبة الحالة تلقى صدمات وصدمات إلى أن استفاض الأمر فكانت المعاناة الحقيقية وهي الانعزال والانسحاب التدريجي.

فالواقع كان أقوى من أن يستوعبه، وتغير معاملته مع الأهل الذين ألقوه بحويته واجتماعية. يقول الحالة أنه حدث له "زلزال نفسي".

فالحالة يشير أنه كان في جو مفعم بالمشاكل منها، المهنية، العاطفية، المالية، فهاته الجوانب كما يشير سببت له مرارة مما أفرز انهيار الحالة في 2000، فكانت الأزمة النفسية التي سببت له الانعزال إذ يقول أنه كانت لديه أفكار فيها درب من الخيال لا تتوافق مع الواقع حيث أن كان له تفكير منتظم لكن الأزمة النفسية سببت له نوع من الخلل في هذا السير المنتظم، حيث يقول أن الأحداث أصبحت تمر بسرعة فائقة وكأنها شريط مسجل حيث أن المعاناة كانت تزداد من فترة لأخرى، حيث يقول: "ولي عند التخميم بزاف" وهذا ما لحظته العائلة من خلال تغير سلوكاته.

يقول الحالة أنه لجأ إلى الطبيب الصحة العقلية إلا أنه لم يفده بشيء حيث يقول أن كل ما كان يفعله إعطاءه الدواء في حيث أنه كما يقول كان بحاجة إلى التحليل النفسي أي الوقوف على فهمه وفتح المجال له للحوار والتعبير بعده ذهب إلى طالب مرقي ليبحث عن حاجاته هذا الأخير الذي قال للحالة أن لديه فترة قلق يعاني منها وهذا ما أكده الحالة على أنه حقيقة كان يعيش نوع من القلق وبعد استمرار المعاناة فكرت عائلة الحالة في مسألة البيع للعبيد ومن قبلهم أشار الطالب عليهم بهذا وحتى والدي الحالة أشارا على الحالة أن هذه العملية العلاجية ألفوها في مثل هذه الأمراض وهي مقبولة اجتماعيا.

4. العلاج التقليدي والمعاش النفسي للحالة :

يقول الحالة أنه بداية لما عرض عليه الأمر –البيع الرمزي لعبيد- لم يكن متقبل للفكرة 100% ولم يكن رافضا لها 100% حيث قيل له أنها طريقة مألوفة وهناك من

أقبل عليها ومثل للشفاء بإذن الله وعندها قبل الحالة بقوله "ما كنش مشكل حاجة ما رايح تنقص في عمري ولا رايحي تزيد فيه ما رايح ديري لي أي حاجة...".

يقول الحالة: "الإنسان لي إديري هذه العملية ممكن بقضاء الله وقدره يتماثل للشفاء وإن لم يكن بصفة كلية فهناك نوع من التحقيق".

ويحدثنا الحالة عن وضعه النفسي قبل العملية وبعدها، فأجاب أنه قبل العملية كانت أحواله النفسية متدهورة إلى أقصى درجة، وفي العملية في حد ذاتها أحس بأحاسيس أخرى حيث أن تلك الحالة النفسية المتدهورة أصبحت تزول شيء فشيء حتى آخر العملية فشعر بنوع من الارتياح قائلا: "حسيت بروحي راني مرتاح والحمد لله" ويشير الحالة قائلا أنه في حقيقة الأمر هذه العملية إن لم تكن مريحة 100% فيقدر لها نسبة 80-90، وعبد العملية يقول الحالة أنه ارتاح وأصبح يقضي أموره بشكل عادي وهذا التحول كان تدريجيا إذ يشير أنه لا يمكن المثول للشفاء في شكل قفزة إنما التحسن كان تدريجيا.

وعن مجريات الطقس يشير الحالة أن عدد أفراد المجموعة العلاجية (لعبيد) كان قرابة 20 فردا فما فوق فيقول أنه في البداية تداولت المجموعة كلمات فيما بينها سرية ومن ثمة أمروه أن يقف وسط الحلقة في هذا الوقت الذي كانت فيه المجموعة العلاجية تؤدي أهازيجها والتي تلمح من خلال كلماتها إلى الحالة التي سببت الأزمة النفسية للحالة أي أن الكلمات التي كانوا يؤدونها كانت تلامس أو تعبر عن الحالة أو المعاش النفسي للحالة، أشار لنا الحالة أنه قبل تأدية الطقس العلاجي سألوه عن حاله ومرضه.

وفي وسط تلك الأهازيج (الدعاء، المدائح، الصلاة على النبي) تأتي عملية نزع لعرق حيث قام شيخ الفرقة بنزع العرق بالسيقة وتمريرها على الحالة وذلك من الرأس إلى القدم من الجانب الأيمن ويليه الأيسر ومن الجبهة والصدر إلى مخارج القدمين ويقول الحالة أن العملية هذه كانت ناجعة وذلك بقوله: "بإذن الله كانت العملية مجدية والحمد لله"، ويضيف أن هذه العملية فيها أمور سرية وربانية، وفي الظرف هذا كان الحالة يتعايش من الضرب على الطبل والذكر المتمثل في -الصلاة على النبي- أين

أحس وكان الحالة النفسية السلبية تنتزع إذ تشبهها الحالة، وكأنها عملية انتزاع الشعر وأو شيع معين من جسمه، وعن نية الحالة والعملية الطقسية أنه أقبل على العملية الطقسية بنية صادقة دون أية شكوك، بحيث أنه كان يتعايش مع المجموعة في أهازيجها تلك ويشير أنه من خلال أغانيها والمتمثلة في الصلاة على النبي –الأدعية- الكلمات والعبارات التي لامست الأزمة وجد نفسه تحولت من حال إلى آخر ويشير إلى أن هذا التحول كان ملموس، وعن تكافل المجموعة العلاجية مع الحالة يشير أنهم بعد إنهاء مراسيم الطقس العلاجي كانوا يرسلون له السلام والتحية وخاصة شيخ المجموعة حيث أن هذا الأخير كان يبعث له كلمات تفاؤلية والتي كانت لها فعالية في الجوانب النفسية، حيث يقول أنه من خلال هذه الكلمات كانت يفتح له فسحة أمل مستقبلية كإشارة إلى أن المستقبل الذي ينتظره زاهر وأن حالته تتحسن مقارنة بالسابق وهم يتفاءلون له بالخير وأشياء أخرى تفاؤلية تساعد على التطور والتحسن.

وعن تأثير الطقس على الحالة النفسية للحالة أثناء العملية أنه كان هناك رد فعل بطبيعة الحال على اعتبار أن شعوره الأولي كان مرتبط بالأزمة النفسية (صراع) التي يعاني منها وبعد الدخول إلى وسط الفرقة كان له إحساس آخر مغاير بحيث عاش مع الطقس وعبارات الطقس التي بعثت في نفسه إحساس رباني وخاصة أن الطقس فيه ذكر الله والذي كان عبارة عن إيحاء للجوانب الروحية إذ أن هذه الكلمات الروحية كان لها رد فعل على الحالة والتي أسهمت في تغير حال الحالة، وعند انتهاء العملية وجد نفسه في راحة وارتياح بحيث قام بتفريغ شعور الأزمة والمرض والمعاناة والصراع، وتحولت نفسيته إلى نفسية مرتاحة وهادئة بحيث لاحظ تغير حالته من وضع إلى وضع أحسن إلى حالة ارتياح تام، أي أنه فرغ الأمور التي كانت تدور في ذاكرته من توتر وقلق وبؤرة التوتر إلى حالة راحلة على اعتبار أنه كان يعيش في مرضه يؤمن اليأس والتوتر واضطراب نفسي وصور خيالية في شعوره ويشير أن ممارسة العملية هذه تعتبر كتجديد للأمل من خلال أعضاء الفرقة والأهازيج التي ترددها، فكل هذا كان عبارة عن تجديد الأمل بالنسبة للحالة من خلال إرسال السلام والتحية والكلمات

المعبرة التي لها جانب إيحائي مما ساعده في الانتقال تدريجيا من الجانب السلبي إلى الجانب الإيجابي.

فبالنسبة للحالة النية وصدقها له مفعولة في المنزل للشفاء إذ يشير الحالة أنه لا بد من التفاؤل بالخير والنية الحسنة والصادقة والتوقع بأن ممارسة الطقس سيكون له مفعول علاجي إيجابي ويضيف أن صدق النية يكون من الجانبين (الحالة المجموعة العلاجية).

يضيف الحالة أن الحماسة في دق الطبل والكلمات الإيجابية المعبرة التي يتم التطرق فيما إلى الجانب الروحي الرباني لها فعالية من خلال بعث بصيص الأمل في نفسيته.

يقول الحالة أنه خلال آزمة هاته كان متوقف عن العمل لمدة شهر وبعدها باشر العمل دون أية صعوبات، تقريبا، والحالة يرى أن طقس لعبيد من خلال صدق نيته وكذا المجموعة العلاجية له دور في مثوله للشفاء فهو سبب بعد حول الله وقوته وفي نظره هو عملية مجدية لا بأس بها، قام أهل الحالة بإقامة صدقة والمتمثلة في وجبة عشاء والتي تم استدعاء الجيران والأقارب، والمجموعة العلاجية فيها وبعدها قراءة الفاتحة والدعاء.

فبالنسبة للحالة العملية الطقسية كان لها فعل إيجابي. فالحالة أثار إلى أن الإيقاع الموسيقى كان له تأثير فاعل في الجانب النفسي، والذي كان يبعث في نفسه نوع من الارتياح والراحة النفسية ومن خلال الطقس كذلك يقول أن الإحساس الذي كان يتملكه قبلا مغاير للإحساس الذي بعد وأثناء العملية لأن الأهازيج كان لها تأثير على حالته وكذلك العيش مع الفرقة من خلال تأديتها للمدائح والأدعية ويرى كذلك أنه علاج سريع المفعول.

فالإيجابية فيه كانت مباشرة حيث أنه يقول أنه خلال العملية تجد نفسك ترتاح وهذا يوم بعد يوم وذلك من خلال السلام والتحية الإيجابية والكلمات التفاؤلية، ويرى الحالة (ب) أن هذا العلاج غير مكلف وما هو إلا وسيلة يمتطيها الإنسان للشفاء وتكون مقبولة شرعيا واجتماعيا وأخلاقيا وليس فيها أشكال لان ليس فيها أمور خارج عن

الدين، وإما اجتماعية فيقول أنها فلكلورية وثقافية وهي معروفة وليست غريبة بل عادية.

مناقشة النتائج على ضوء الفرضيات :

إن كل بحث علمي يبنى على فرضيات يقترحها الباحث كحلول مؤقتة وقد يتم إثباتها أو نفيها في أخر مطاف الدراسة بعد استعمال وسائل وتقنيات وأساليب بحثية متعددة للوصول إلى النتائج المرجوة وفيما ياتى مناقشة فرضيات البحث على ضوء النتائج.

فمن خلال موضوع بحثنا الموسوم بـ(البعد العلاجي للممارسات الرمزية التقليدية –طقس لعبيد العلاجي نموذجا-) قمنا بإيضاح هاته المقاربة من خلال دراسة الاستطلاعية و توزيع الاستمارة على عينة قوامها 150 فرداً و من ثمة إجراء المقابلات مع الحالات العيادية، حيث حاولنا تحديد ما إذا كانت الممارسة الطقسية العلاجية (العبيد) تؤدي وظيفة علاجية على مستوى المشكلات الصحية بالمجتمع التواتي، وذلك بتسليط الضوء على السيرورة الإعتقادية في الطقس ودورها في العلاج، وفعالية الطقس في التعبير عن الصراعات والتخفيف منها وعليه كانت مناقشتنا لفرضيات البحث على النحو التالي :

الفرضية الأولى: للسيرورة الاعتقادية دور في ممارسة طقس لعبيد طريقة علاجية دور فاعل ومثمر.

من خلال المقابلات المجراة مع الحالات لاحظنا تحقق الفرضية على مستوى الحالة (4-3-2) خاصة والذي قد يعود إلى البيئة التي عاشت فيها الحالات الثلاثة، إلا أنه كما أشار لنا الحالة (4) أنه في البداية لم يكن رافضا للطقس 100% ولم يكن متقبلا له 100% إلا أن الأهل أقنعوه وهو الحال نفسه بالنسبة للحالة (01) وهكذا مثلت الحالتين للطقس وخاصة لإرضاء العائلة وهنا أين يمكن الرجوع إلى الشخصية القاعدية للفرد المغاربي الإسلامي، فممارسة الطقس قد تكون تعبير على الانتماء للجماعة لا أكثر وهذا ما تجسد جليا على مستوى الحالة (01) لكن الحالة (04) كان أكثر من مجرد انتماء للجماعة بل مسار في منحى الاقتناع والاعتقاد على اعتبار أن الحالة (04) كان له تصور ذهني عن العملية الطقسية من خلال الواقع أو حياته الاجتماعية خاصة وأن المنطقة التي نشأ فيها تتميز بهاته الممارسة الطقسية ولها

صداها في منطقته، فالحالة (04) كان له معتقد أو اعتقاد حتى وإن لم يتضح للعيان ولكن ملابساته تظهر من خلال ممارسة للطقس، فالحالة (04) كانت لديه فكرة اعتقدها ولاحظ صحتها على مستواه بازدياد إيمانا بها (فعالية الطقس) وبالتالي تم تبنيها وهذا نلحظه عندما يقترح على الآخر الذي يعاني هذه العملية الطقسية نظرا للنتائج التي تحصل عليها.

أما بالنسبة للحالة (3-2) فالاعتقاد والمتمثل في النية كان مسبق أو مبيت خاصة وأنهن نسوة خابرا الحياة الاجتماعية وعرفا خباياها وتشبعا بثقافة المجتمع المحلي التقليدي، فكانت قوة الإيمان والاعتقاد في الطقس والتي جسدتها الرغبة في الوصول للشفاء، ويبقى أن يتحقق المراد من المولى عز وجل، ولكن حسب الإرادة والنية، الإرادة بالنسبة للحالة (04) والنية بالنسبة للحالة (3-2)، وهكذا نصل إلى أن هناك اعتقاد أو سيرورة اعتقادية في الممارسة الطقسية العلاجية هاته (لعبيد)، لها دور في تحقق الشفاء بعد إرادة المولى عز وجل.

الفرضية الثانية : لطقس العبيد العلاجي فاعلية للتعبير عن الصراع وهذا ما لوحظ عند الحالة (02) والذي نجد أن وطأة التغيير من حال القوة إلى حال الضعف أثرت كثيراً على الحالة التي كانت تتمتع بالقوة والحرية دون أي قيود غالباً من المجتمع وهنا نقصد الأسرة بالأخص حيث أنه كانت لدى الحالة حرية الدخول والخروج أي لم تكن سلطة الرجل تسيطر عليها على اعتبار أن هذا الأخير كان كثير الترحال والتغير ، كما هو الحال في غالب المجتمع التقليدي وخاصة التواتي .

فإجراء الطقس كان لها بمثابة فضاء حيوي عبرت فيه عن صراعاتها على اعتبار أنها هي التي بادرت بطلب الفرقة العلاجية، وما كان المعالج التقليدي والمتمثل في الطالب إلا مؤكداً لحضور الفرقة العلاجية.

وكذلك هو الحال بالنسبة للحالة (03)، حيث نجد أنه ومن خلال مراسيم الطقس شعرت في لحظة بنوع من فقدان الوعي وكأنه كان تعبير عن صراع تعاني منه أستدرك وقت تفعيل نشاط المجموعة الطقسية، وبالنسبة للحالة (04) فقد كان للطقس دور في التعبير عن صراعاته في جو الطقس من خلال الضرب على الدف والكلمات،

هاته الأخيرة والتي أحس وكأنها تعبر عن معاناته أو تلتمس صراعاته فكلمات كان لها حظ وافر في العلاج من خلال تعبيرها عن معاناته والتسامي مع كلمات الأهازيج، ليس هذا فحسب بل كان للكلمة دور في إعادة إدماج الحالة (04) الشي الذي تجسد من خلال عيادته من طرف المجموعة الطقسية العلاجية والجيران والأقارب، بالإضافة إلى هذا وقع الضرب على الدف أين أشار الحالة (04) إن الريتم الموسيقى له تأثير على الإنسان العادي فما بالك الإنسان الذي له أزمة نفسية فيكون أكثر حساسية لهذا الريتم الموسيقى أين يحدث التعبير ويتحقق العلاج، وهذا كله بمشيئة الله كما يشير الحالة (04).

أما **الفرضية الثالثة** والتي مفادها أن لطقس لعبيد فعالية للتخفيف من الصراع. بالنسبة للحالة (01) تشير أنه بعد إجراء الطقس لها شعرت بشئ من التخفيف والترويح خاصة وأنها تتميز بالوحدة ومرضها جعلها نوعاً ما تتخذ طابع العزلة فتجسد التخفيف من الصراع والمعاناة هاهنا من خلال وقوف الآخر (العائلة – الفرقة العلاجية) إلى جانبها وتدعيمها في شدة مرضها خاصة أنها أشارت أنه عندما تفاقم المرض وأصبحت كما تقول على لسانها بين الحياة والموت وإستأسى منها الأهل حينها تم إستدعاء المجموعة العلاجية من طرف العائلة فيها كانت بين صراع ضغط الموت والحياة (قلق الموت) فمن خلال الجماعة العلاجية أشارت الحالة أنها وجدت نوع من الراحة والإنتماء أثناء وبعد تأدية الجماعة لطقوسها وكذلك هو الحال بالنسبة للحالة (02) بحيث أن الحالتين كانت معانتهما واضحة وكل منهما اتضح أنه يطلب المساعدة من الجماعة سواء بشكل شخصي كما هو الحال خاصة بالنسبة للحالة (02) أو بشكل جماعي وهذا بالنسبة للحالة (04-03-01) والذي كان إستنجاد عائلة العميل بالمجموعة العلاجية والذي كان لهذا الطقس بالنسبة لعائلة المريضة نجاح مثمر في معاناة سالفة وهم يعتبرون أن هذا الطقس مقدساً من خلال الذكر والمدائح النبوية والصلاة على الرسول والدعاء والتضرع الذي يتميز به هذا الطقس ضف إلى ذلك ضعاف الأفراد الذين يقومون بتأدية الطقس على إعتبار أنهم يتميزون بالإخلاص مما يضفي مصداقية لدعائهم.

وعلى اعتبار أن طقس لعبيد العلاجي يضم جماعة علاجية تبدأ أولا بجماعة الطقس ومن ثمة أهل العميل ثم الأهل والأقارب، تلتف حول العميل.

فلوحظ وبالنسبة للحالات الأربعة (4-3-2-1) يروا أن وقوف الأهل إلى جانبهم في محنتهم خاصة وأن غالب الحالات تم استدعاء المجموعة الطقسية العلاجية من طرف الأهل، وهذا إن دل على شيء فإنها يدل على روح التلاحم والتي يمكن القول عنها أنها من قبل أي في الأجواء العادية كان مفعول هذا التلاحم عادي ومن خلال تأدية الطقس العلاجي الجماعي زاد الالتحام والترابط في عملية سند أو مساندة للمريض، أي أنه في هذا الجور المفعم بالأهازيج الدينية كان فيه نوع من استثارت المشاعر المعززة لتماسك الجماعة (عائلة المريض) وكأن طقس لعبيد هذا كان بمثابة فضاء أو مجال أتاح للمريض وعائلته فرصة التنفيس عن انفعالاتهم وتأثراتهم مما قد لا يستطيع التعبير عنه في ظروف عادية (روبرت مكلفين 2002=106) فكان الطقس عملية تنفيس للحالات (4-3-2-1) على اعتبار أن المرض جعلهم يعانون من بعض الصراعات الداخلية وسبب نوع من العزلة والكبت بمعناه السطحي فكان الطقس بمثابة فضاء ترويحي وتنفسي للتخفيف من الصراعات سواء على مستوى الحالات أو على مستوى عائلات الحالات، خاصة وإن هذا الأخير يحوي عبارات مقدسة وإيحائية بالإضافة إلى الموسيقى والريتم الذي تسير عليه في هذا الطقس والذي يجعل الفرد يتجاوب معها ولو حتى داخليا وهذا ما أشار إليه الحالة (04) خاصة والحالة (01) كذلك والتي أشارت إلى أنه بعد رجوعها إلى فراشها بعد ممارسة الطقس مباشرة أحست بنوع من الراحة خاصة وأن إيقاع المجموعة تميز بالريتم البطيء بداية ثم أخذ يزداد (الريتم السريع) المرفوق بالأذكار والأدعية والعبارات المقدسة، فأحدث إذن لدى الحالة (01) نوع من التخفيف، وكذلك الحالة (04) لعب الطقس دور تخفيفي بالنسبة للصراعات وكذلك فعالية على مستوى التخفيف من حدة الأزمة النفسية التي كان يعاني منها.

وكان لدى الحالة (4) كذلك نوع من التصريف أي تفريغ انفعالي تخلص بواسطته وفي جو الطقس من عاطفة ارتبطت بذكرى حدث حدسي (ظروف العمل، ضغوطات البيت المادية، تزوج فتاة رغب فيها يوما...).

فالاتجاه إلى ممارسة طقس لعبيد العلاجي حقق له مجال لتصريف انفعالاته وهذا على المستوى الداخلي وبعملية التصريف هاته استطاع الحالة (04) وضع حد لاستمرار مجموعة من التصورات السلبية التي كانت قد شكلت مصدر للأعراض العصابية والتي تجسدت في تغيير المجرى العادي لتفكيره.

وبالنسبة للحالة (3) تلاحظ أنه كان لديها شحنة عدوانية موجة للآخر حيثما أثارت أنه في مرضها هذا كانت تضرب أمها، فالطقس من خلال إيقاعه الموسيقي وغنائه الديني والتضرعات والتوسلات سمح لها بتفريغ الشحنات العدوانية التي كانت موجهة للآخر بالإضافة إلى أنه خلق لها الطقس مجال تطهيري.

وبالنسبة للحالات جميعها كانت مشاركة المحيط العائلي لهم في هذا الطقس (لعبيد) خلق أو أنجر عنه جو مملوء بالحرارة العاطفية الإنسانية ساعدت الحالات على طرد العدوانية (حالة 03) وإعادة التنظيم المفترض أن يكون بين الحالة وذاتها وهذا ما أثار إليه الحالة (04) وبين هؤلاء (العميل، الأهل، الجماعة العلاجية، الأقارب، الأصدقاء...) حيث أنه لوحظ من خلال الطقس أن هناك نوع من الحماية والرقابة (الحرص) بل الاعتناء بالحالة (4-3-2-1) من طرف عائلتها، بالإضافة إلى الرعاية وهكذا فالحالات الأربعة (4-3-2-1) كانت مركز اهتمام لعائلاتهم والأكثر من هذا مركز العلاج.

نشعر بنوع من فك القيد وخاصة ما لوحظ خاصة عند الحالة (02) بقولها "إريح عقلي" وكذلك هو الحالة بالنسبة للحالة (4-3).

فالاحتفال الطقسي العلاجي هذا (لعبيد) عمل على للحد من الاضطراب الذي كانت تعاني منه الحالات الأربعة وهو سيكولوجي وذلك من خلال النشاط التدعيمي للمحيط (بعث التحية والكلمات التفاؤلية، عيادية وزيارة المريض، حثه على الصبر والاصتبار وأن الفرج أت لا محا من عند القدسي العلمي، بالإضافة إلى الدفئ

الإنساني وخاصة عائلة الحالة، وهذا يصل العميل إلى تحرير شحنته الانفعالية على اعتبار أنه هو المركز واللب في العملية الطقسية العلاجية (لعبيد)، وديناميكية الفعل العلاجي (لعبيد) تزامن بين علاجيين علاج نفسي وآخر اجتماعي وهو بذلك يشبه النشرة (B.Bensmail).

أ- اجتماعي : من خلال تنظيم الطقس الجماعي وجماعة تحوي أفرادها والأولياء (باندیلو، مولاي عبد الله الرقاني، الأصدقاء، الأقارب) حيث التبرك بالولي الصالح المنتسوب إليه ليتحقق الشفاء وقبله بقدرة الله عز وجل، فهو محطة تنقطع فيها التوترات الداخلية وينصب الانشغال على المريض، من خلال عرض المجموعة العلاجية (لعبيد) والمشهد الذي تصنعه بوضع ضرورة التماسك والالتحام والتضامن.

ب- علاج نفسي من خلال الجو المملوء بالحرارة العاطفية وتمتع العميل بالرعاية والحماية والمركزية، وأجواء الطقس بأهازيجه الموسيقية والأذكار والصلوات على النبي والأدعية والتي تحقق التنفيس للمريض، وكون الطقس (لعبيد) يعمل على الحد من الإضطراب.

بهذا كله نجد أن طقس لعبيد وبما يحتويه تعمل جماعته العلاجية على تأكيد تضامنها الجماعي من الحالة مما يؤثر على نفسية الحالة بالإيجاب وهذا لوحظ بالنسبة للحالات الأربعة (4-3-2-1)، فبالنسبة للحالة (4) نجده بدايةً استسلم للمرض ولكن من خلال تضامن الجماعة العلاجية معه، ومن ثمة إقناعه بأن وضعه أو حالة يستحسن شيء فشيء وذلك من خلال زياراتهم المتوالية وبعث السلام والتحية له وهو الحال نفسه بالنسبة للحالة (01).

فالإقناع الذي مارسته جماعة الطقس تدخل إلى حد كبير في مثول الحالة (4) للشفاء وهذا طبعا على حد قوله، فالجماعة العلاجية الطقسية (لعبيد) كان لها فعل الاقتناع والخضوع النفسي على مستوى الحالات (4-3-2-1) وهو ما يمكن تسمته في علم النفس القابلة للإيحاء والذي استثمر في علاج الحالات الأربعة وخاصة (4-3-2) من خلال الاستخبار عنهم وزيارتهم وعيادتهم وبعث التحية والسلام لهم مع العبارات والكلمات التفاؤلية.

وبهذا يكون التضامن ومواسات العميل أو المريض واضحة وجلية وخاصة بالنسبة للمريض في حد ذاته والتي تعمل على بعث بصيص الأمل والرغبة في الحياة وبالتالي مقاومة المرض ومحاولة تخطيه بإرادة وعزيمة.

ومن خلال ما سبق تحقق الفرضية والتي مفادها، أن لطقس لعبيد فعالية علامة للتحقيق من الصراعات على مستوى الحالات الأربع.

فالثقافة تلعب دور مهم في إرساء المعتقدات والعادات والمحيط وأفراده يزيدونها تثبيتاً وعلى إعتبار أن الفرد بحاجة ماسة إلى الإندماج والتفاعل والإحتواء والإنتماء فإنه يخضع لتلك الثقافة وهو مطالب في إحتكاكه بالآخرين أن يسلك سلوك الجماعة ووفق المعايير المتفق عليها في هذه الجماعة أو الخضوع للقوانين التي ترسي معالمها الجماعة ، هذا ينطبق على الحالة الأولى حيث أنها أشارت إلى عدم رغبتها في البداية بإجراء الطقس عليها لكن من خلال العائلة خضعت للأمر واستجابت.

ومن خلال الحالات (4-3-2-1) نلاحظ أنهن يشرن إلى تحصيل نتائج فعلية على المستوى النفسي، فالحالة (2) تشير أن طقس لعبيد يعتبر عامل تبركي وإستشفائي وترويحي وتنفيسي ومن هذا كله الغاية النهائية إزالة وتخفيف الضغط السيكولوجي الذي يسببه المرض وبالتالي ينعكس على الجانب الجسمي.

وهنا أين يعتقد أن تغيير الاسم كأنه إعطاء فرصة جديدة للفرد في الحياة على اعتبار أن الواحد منا أول ما يولد يعطى له اسم فهو بداية دخوله للحياة فتغيير الاسم إذن هو بمثابة إبعاد المرض مع الاسم القديم وجلب المعافاة مع الاسم الجديد هنا أين نجد الرمز يلعب دور في الإقناع، فتغيير الاسم هو رمزية لاكتساب شخصية جديدة صحية وكأنه التخلي عن الحالة المرضية لجهة متمكنة وهذه الأخيرة تتبناه بتغيير الهوية الرمزية للشخص.

وبالنسبة للحالات الأربعة (4-3-2-1) نلاحظ للقرابة والدعاية دور في مثول الحالة للطقس العلاجي وهو عامل إجتماعي أما العامل الثقافي فهو يتجسد من خلال مساهمة العادات والتقاليد في نشر ثقافة مفادها أن هناك أمراض لا يمكن معالجتها أو

التخفيف منها بطريقة الطب الرسمي وبالتالي فهي خاصة بالطب الشعبي والعامل النفسي يتجسد في الإقتناع أو العدوى الإقناعية.

وهكذا فمن خلال التفسيرات والمناقشات للفرضيات الجزئية الثلاث تحققت الفرضية العامة نسبيا والتي تشير إلى أن للممارسة الطقسية العلاجية (لعبيد) تأثير فاعل كوظيفة علاجية.

ختاما لنا وقفة إلى نتائج الدراسة من خلال ما قدمت لنا إثبات فروض البحث الدالة على أن لسيرورة الاعتقادية في طقس لعبيد العلاجي دور فاعل في التخفيف من الألم وكذا الصراعات وخاصة عند الفئة التي تتميز بشخصية قاعدية متضحة للعيان، وهكذا فإن نتائج الدراسة أظهرت على أنه بالرغم من التطور والحداثة إلا أنه هناك مجتمعات تمارس وتلجأ لهذه العلاجات التقليدية التي ظلت صامدة رغم رياح التغيير العاصفة فهي إذن لازالت موجودة ومستمرة رغم عوامل التغيير والتنمية وهذه الممارسات والمعتقدات المرتبطة بالعلاج ما كانت لتبقى لولا أنها تؤدي وظيفة بل وظائف لها أهميتها لمن يعتقدون فيها ويمارسونها من حملت التراث، وبالنسبة لموضوع الدراسة طقس لعبيد العلاجي أو البيع الرمزي للعبيد هو سلوك علاجي تستخدمه بعض الفئات لمواجهة المرض، هؤلاء الذين يعتقدون في هذه الممارسات العلاجية أي اعتقاد وبالمقابل هناك من يقبل عليها طامعا في تحصيل الراحة والترويح النفسي والذي قد يصل إلى تفريغ الشحنات المكبوتة من خلال هذه الطقوس الفلكلورية العلاجية مما يثمر بنتائج فاعلة وهذه الممارسات العلاجية التقليدية تعلب دورا في حياة أفراد مجتمع الدراسة وخاصة التقليدية.

وبهذا نستطيع القول أن السمات الثقافية المميزة لمجتمع الدراسة تلعب دور في تشخيص المرض والتخفيف من وطأته إن لم نقول علاجه نفسيا لينعكس على الجانب العضوي.

فطقس لعبيد هو احتفال ديني روحي بجع بين المدائح والأدعية والتوسلات وهي بمثابة مجال لإحياء المقدس وتحوله إلى معاش عن طريق الرموز التي تحدد علاقة الإنسان بما حوله من خلال إيقاظ الخبرة فيه وجعلها فعلا روحيا من خلال هذا يتجسد دور الطقس في كونه تقرب من المقدس من خلال أذكار وأدعية المجموعة العلاجية والمتمثلة في رفع البأس والبلاء على الحالة لأن الله (مقدس) هو السميع والمنجد والمستجيب والطقس كذلك يضمن استمرارية الثقافة الدينية في المخيلة الجماعية والتي ترى فيه مصدرا للبركة و(لعبيد) هو كذلك نشاط طقسي يغلب عليه

كما أشرنا طابع الاتصال بالمقدس إذ يظهر لنا تعبيرا عن الحالة النفسية التي تجسد معتقدات الأشخاص (أفراد الجماعة، العميل، أهل العميل)، وبحيث يكون الهدف المرجو هو التقرب إلى الله ليستجيب لدعواهم وكذا الحصول على البركة، هاته البركة التي تعتبر فكر رمزي وتطبيق اجتماعي تتجسد فيه أشياء لتتعدى بذلك التشخيص.

إن بركة الوالي يمكن أن تنتقل إلى الأغراض التشخيصية ليحلمها الإنسان معه إذ من خلال هذا الاتصال يمكنها أن تساعد الشخص على تحقيق غرضه "الأغراض التشخيصية في اتصال مع الوالي ستحمل بدورها ميزات البركة للشفاء وإبعاد الشر والمرض"[1].

وطقس (لعبيد العلاجي) هو كذلك ميكانيزم خاصة بجماعة الطقس التقليدية تستخدمه لضبط الاضطرابات كأمثلة عليها، القلق وحل الصراعات الداخلية على اعتبار أن هناك خطوط سيكولوجية مشتركة بين أفراد الجماعة العلاجية وحتى مع أفراد مجتمعها المحلي (المريض، عائلة المريض، الأقارب، الجيران...) [2].

والمجموعة الطقسية (لعبيد) من خلال تضمنها للرقص والأهازيج الدينية تلعب وظائف تطهيرية أساسا تتيح للمريض الشروع في تفريغ جزء من قلقه، فالمجموعة الطقسية والتي يمثلها الشيخ ومساعدوه من بين أهم مهامهم إعادة التوازن للنظام الاجتماعي المهدد وذلك من خلال الالتحام والتماسك والتضامن، وذلك على اعتبار أن المرض هو علامة لفقدان التوازن الاجتماعي والفعل العلاجي،هنا محاولة لإعادة التوازن المهدد وبهذا المفهوم فالمرض محصلة سببه تلاشي الروابط الاجتماعية التي يعتبر المريض ضحيتها وأكثر من ذلك فهو علامة ونتيجة لفقدان توازن واضطراب العلاقات التي ترتبط عبرها الجماعة.

من هذا كله وعلى اعتبار أن العلاج النفسي هو أية طريقة لعلاج الاضطرابات النفسية أو الجسدية باستخدام وسائل نفسانية وبشكل أكثر دقة باستخدام علاقة المعالج مع المريض، وأهم هاته الوسائل، الإيحاء، إعادة التربية النفسية، الاقتناع...

1- Ali Aouat, anthropologie du pèlerinage et de la sainteté dans le marabolisme marocain.
2- B.Bensmail, Op.cit, P222.

فإذا أخذنا هذا المقياس وأسقطناه على طقس لعبيد العلاجي، فإننا نجده كذلك أولا في كونه طريقة يلجأ إليه في حالة الاضطرابات النفسية والجسدية بل أكثر من ذلك مصيبة اجتماعية (نزول بلاء على البلاد)، وكذلك هناك علاقة بين المعالج (الشيخ، مساعدوه، الطقس بأهازيجه) والعميل وعائلة العميل، وإذا أردنا أن نعرف الوسائل فهي كذلك الإيحاء، الإقناع، المساندة، الموسيقى، العبارات الدالة والمعبرة (سر الكلمة).

وفي الأخير الشيء الذي يمكن قوله هو ما قاله ليفي ستروس Levi-Struss في أحد كتاباته "يبدو أن الأطباء البدائيين يشفون على الأقل، قسما من الحالات التي يعالجونها ولولا هذه الفعالية لما شاهدت هذه الممارسات الشعبية هذا الانتشار الواسع...".